

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

مركز الدراسات والبحوث

الاستخبارات في دولة المدينة المنورة

د. إبراهيم علي محمد أحمد

الريـــاض

١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م

٢٢٢

إهـــــــداء ٢٠٠٨
أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية
المملكة العربية السعودية

إهـــــــداء ٢٠٠٨
أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية
المملكة العربية السعودية



الاستخبارات في دولة المدينة المنورة

د. إبراهيم علي محمد أحمد

الطبعة الأولى

الريـــاض

١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

المملكة العربية السعودية. ص. ب ٦٨٣٠ الرياض: ١١٤٥٢
هاتف ٢٤٦٣٤٤٤ (١-٩٦٦) فاكس ٢٤٦٤٧١٣ (١-٩٦٦)
البريد الإلكتروني: naass@ hotmail. Com.

ISBN 0-79-725-9960

P.O.Box: 6830 Riyadh 11452 Tel. (966+1) 2463444 KSA
Fax (966 + 1) 2464713 E-mail naass@ mail.gcc.com.bh

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، إبراهيم علي محمد

الاستخبارات في دولة المدينة - الرياض

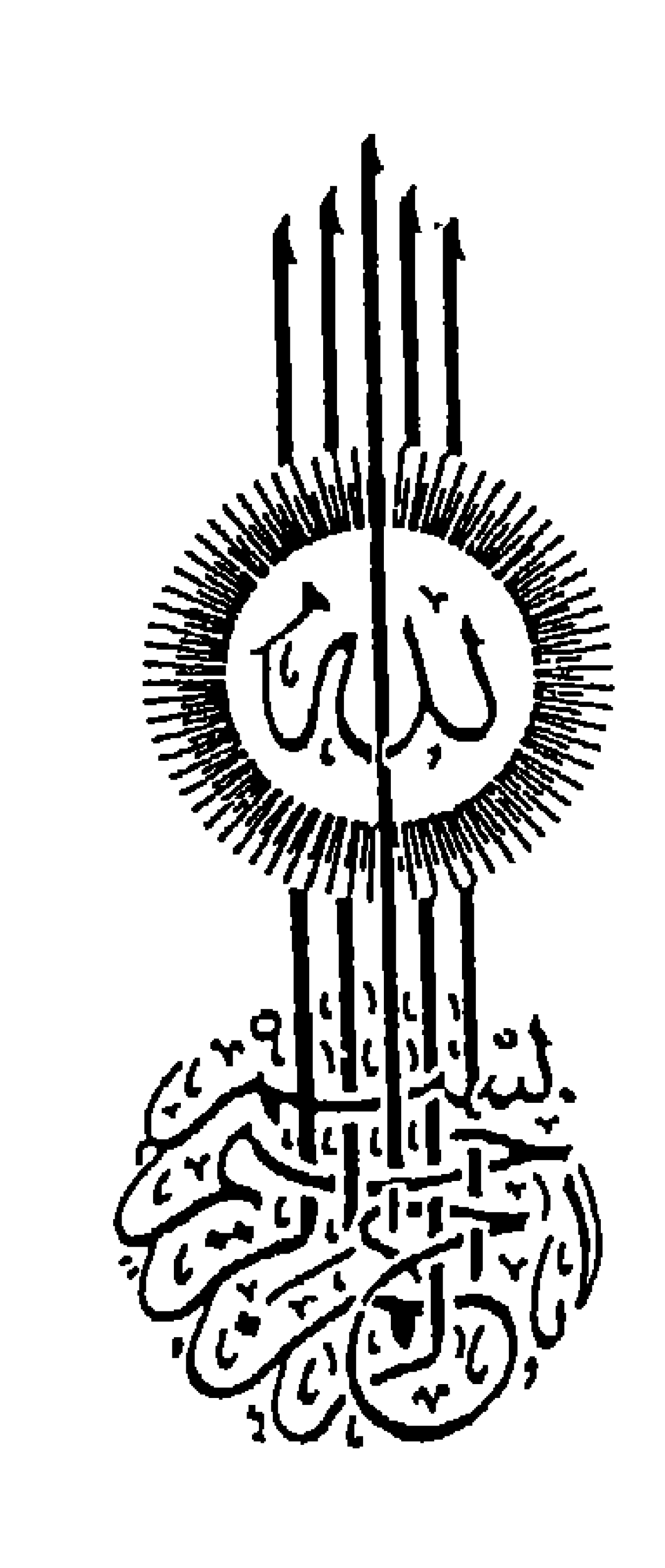
١٧٦ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٠ - ٧٩ - ٧٢٥ - ٩٩٦٠

١ - المخابرات العسكرية ٢ - الجاسوسية ٣ - العسكرية الإسلامية أ - العنوان

ديوي ٣٥٥,٣٢٣٤ ١٩/٤٥٥٢

رقم الايداع: ١٩/٤٥٥٢
ردمك: ٠ - ٧٩ - ٧٢٥ - ٩٩٦٠



المحتويـــات

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه آجمعين نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين من ربه، ونحن على ذلك من الشاهدين، ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

لم تزل دولة المدينة مصدراً يستقي منه الباحثون على اختلاف مشاربهم، وتخصصاتهم ما يفيدهم في المجال الذي يبحثون فيه، وقد طبق فيها الرسولﷺ الإسلام كل الإسلام بجوانبه المختلفة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية ، والأمنية وغيرها.

وهذا البحث الذي بين يديك عزيزي القارئ ماهو إلا محاولة للوقوف على جوانب الحذر والحماية في دولة المدينة المنورة، كي نفيد منها في واقع حياتنا المعاصرة. وبخاصة في الجانب الأمني الذي أغفله المسلمون، ولم يهتموا بالكتابه فيه، وتأصيله، والتأسي برسول اللهﷺ في هذا الجانب الخطير والهام. فعلينا أن ندرس دولة المدينة دراسة منهجية استراتيجية تمكننا من الإجابة عن أسئلة الواقع ومعالجة مشكلاته وفق هدي النبوة.

يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثه فصول وخاتمة. تناولت في الفصل الأول الجوانب الأمنية داخل المجتمع المسلم. وفي الثاني الجوانب الأمنية في علاقة المجتمع المسلم باليهود. وفي الأخير الجوانب الأمنية في غزوات الرسولﷺ أما الخاتمة فقد حوت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.
وقد حاولت في هذا البحث أن أبقي على المصطلحات كما جاءت في السيرة

دون تدخل مني إلا في الظروف التي تتطلب التدخل فحينما أراعي استخدام المصطلح الأقرب إلى روح الإسلام .

كما أنني حاولت ربط الدراسة بالواقع ما استطعت إلى ذلك سبيلاً مركزاً على الدروس والعبر التي ينبغي علينا الإفادة منها . وأنبه عن مواطن الخلل لتلافيها ، والانحراف لتقويمها ، والغفلة فانبة لها . ولقد سبق أن تحدثنا في مؤلف سابق عن جوانب الحماية والحذر في فترة مكة . وبهذا المؤلف تكتمل الدائرة وتحقق القدوة .

التمهيـــد

الجـانب الأمـني فـي الإسـلام
مشروعيته، مهامه، و أهميته

يتصور القارئ المسلم المعاصر بمجرد سماعه لكلمة (الأمن أو الاستخبارات) تلك الصورة المخيفة لأجهزة الأمن في كثير من البلاد الإسلامية، وذلك لما ارتبط بأذهان الناس من صورة مشوهة لحقيقة الأمن، ورجل الأمن، حيث انقلبت الكلمة إلى ضدها، فأصبحت تعني الخوف، والقسوة، والقمع، والتسلط، وتحولت أجهزة الأمن إلى أداة تعتمد عليها الحكومات الطاغوتية المعاصرة في ملاحقة شعوبها، وقهر إرادتها، وقمع حركتها، بغية الحفاظ على كراسي الحكم. وتلك الصورة المرعبة، والفهم الخاطئ عن الأمن، ورجاله، جعلت المسلمين يتوجسون خيفة من تلك الأجهزة القمعية، ويرفضونها باعتبارها أداة تسلطية، تعمل لكبت المسلمين، وليس لأمنهم، وراحتهم.

ولعل هذا الوضع جعل جل الجماعات الإسلامية تعده أمراً دخيلاً على الإسلام، واعتبرته من الأفكار الواردة، والدخيلة على الإسلام، الأمر الذي جعلهم لا يهتمون به، ويلقونه جانباً مما ترتب عليه ضرر بالغ بمسار العمل الدعوي الإسلامي في البلاد الإسلامية التي تستخدم حكوماتها سلاح المخابرات ضد الجماعات الإسلامية التي لم تكن لها حماية أمنية بسبب الفهم الخاطىء لحقيقة الجانب الأمني.

صحيح أن الإسلام نهى عن الاطلاع على أسرار الناس، كما احترم حرية الاعتقاد يقول سبحانه: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقر، ٢٥٦)

فالإسلام لم يسمح بالاطلاع على عقائد الناس، ونهى عن محاولة التعرف على أسرارهم، قال تعالى: ﴿ولا تجَسَّسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾(الحجرات، ١٢). فهو لم يكتف بالنهي عن الاطلاع فقط، بل تعداه إلى النهي عن إذاعة تلك الأسرار فيما لو اطلع أحد المسلمين على سر آخر فلا يحق له أن يبوح به للناس أو يفضحه على رؤوس العباد. ولكن ليس هذا النهي على إطلاقه، وإنما مقيد في حدود الأسرار الشخصية والفردية.

مشروعية العمل الأمني

إن المتأمل لنصوص القرآن، والسنة يجد فيها إشارات واضحة للجانب الأمني قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا﴾(النساء، ٧١)، وقال جل شأنه: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾(التوبة، ٤٧) و قوله تعالي: ﴿سماعون لقوم آخرين﴾ (المائدة، ٤١).

فأخذ الحذر يتطلب اليقظة، والانتباه، والترقب، والتريث، والتخطيط، والتوجس، وهذه كلها أمور من صميم العمل الأمني الذي يقوم على أساس الحذر الذي أمر الله به المسلمين في الآية الأولى التي يقول عنها سيد قطب: (نرى الأمر بالحذر لأن الأرض حولهم ملغمة والعداوات حولهم شتى، والكمين قد يكون كامنا من المنافقين، أو ممن يؤويهم المنافقون واليهود من عيون الأعداء المتربصين) (قطب، ١٤٠٢هـ، ٧٠٣). فهذه إشارة واضحة تضمنتها هذه الآية إلى ضرورة وأهمية الأخذ بالجانب الأمني.

وقد أشارت الآيتان الأخريان إلى وجود عيون وسط المجتمع المسلم، فنبهت المجتمع إلى خطرهم، الأمر الذي يتطلب قيام جهاز أمني للكشف عنهم درءاً لخطرهم، وكشف شرورهم قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

﴿وفيكم سماعون لهم﴾ : «أي عيون يسمعون لهم الأخبار وينقولونها إليهم» [ابن كثير، ٣١٦] وقال الشوكاني عن الآية الأخرى : «أي سماعون لآجل قوم آخرين وجهوهم عيوناً لهم لأجل أن يبلغوهم ما سمعوا من رسول» [الشوكاني، ٤١]. فهذه إشارة واضحة إلى وجود جواسيس وسط المجتمع، ولما كان اكتشافهم يحتاج إلى بحث وتتبع أصبح من الضروري قيام جهاز يتولى أمر البحث والتتبع لهؤلاء الجواسيس، والعمل على إخراجهم من وسط المجتمع حتى لا تنتقل أسرار المجتمع المسلم إلى الأعداء.

أما عن الأدلة من السنة فمجالها هذا البحث الذي يتناول الجانب الأمني في سيرة الرسولﷺ . وأما الصحابة رضي الله عنهم وبخاصة الخلفاء الراشدون، فقد اهتموا بهذا الجانب فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن إبي وقاص رضي الله عنه، وهو يتجهز لغزوة القادسية : (وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأبعث العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب، أو من أهل الأرض، ممن تطمئن إلى نصحه، وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدق في بعضه، والفاسق عين عليك وليس عيناً لك. وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع) [ابن كثير، ٣٨].

هذه الوصية تعد نصاً واضحاً في الاهتمام بالجانب الأمني فطلب عمر رضي الله عنه من سعد رضي الله عنه أن يبث العيون، وحدد له مواصفاتهم الأمر الذي يزيد من الأدلة على شرعية الجانب الأمني وأنه أمر من صميم الإسلام وليس أمراً دخيلاً عليه كما يتوهم البعض فلو كان هذا الأمر ليس شرعياً لما أوصى به الخليفة الراشد قائده وحثه عليه.

وأكد علماء السلف رحمهم الله على أهمية وضرورة هذا الجانب، يقول القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج: (وينبغي للإمام أن تكون له مسالح(*) على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه، ورد، ومن كان معه كتب قرئت فما كان من خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي أصيب معه الكتاب وبعث به إلى الإمام ليري فيه رأيه [أبو يوسف، ١٩٠].

وفي العصر الحديث وجدنا كذلك أن العلماء قد أكدوا على خطورة، وأهمية الجانب الأمني، ودعوا إلى الاهتمام به على مستوى الدولة، والجماعات، والأفراد(**).

من الآيات السابقة والآحاديث النبوية وأقوال الصحابة وعلماء الأمة يتضح لنا أن الجانب الأمني شأن مأمور به شرعاً. أشارت إليه آيات القرآن الكريم وطبقه الرسول ﷺ في مكة والمدينة واهتم به الصحابة وعلماء الأمة الإسلامية على مر العصور كما سيأتي من خلال تناولنا له في البحث. أما الأمر المنهي عنه شرعاً ـ كما مر معنا ـ فهو التجسس على أسرار الأشخاص، والأفراد التي تتعلق بمصالحهم الشخصية. أما إذا كانت تلك الأسرار تتعلق بالمصالح العامة، فإن الحكم يختلف فلا يعد التعرف على أسرار الفرد حينها تجسساً منهياً عنه، لأن الأمر هنا خرج من نطاق المصلحه الخاصة إلى العامة التي يجب تقديمها على الخاصة، وإلا تعرضت الأمة إلى أخطار تهدد كيانها وتنذر وجودها بالفناء، والزوال.

(*) مسالح: حرس.

(**) الشيخ إبراهيم سربل. دليل المجاهد. محمود شيت خطاب. دروس في الكتمان. منير محمد الغضبان. النهج الحركي للسيرة النبوية.

إن التشريع الإسلامى الذي ينهى بشدة عن محاولة الاطلاع على أسرار الناس الخاصة، ويحرم اغتيابهم، لا يمنع من التعرف على الأمور التي ترتبط بمصلحة الجماعة. بل يسمح للدولة الإسلامية أن تجمع المعلومات الصحيحة المفيدة لوضعها تحت تصرف الحاكم المسلم حتى يتسنى له التحرك السليم في الوقت المناسب ليبطل خطط، ومؤامرات المتآمرين حفاظاً على مصلحة الأمة، وإبقاء على وجودها، وكيانها تماماً كما كان يفعل الرسولﷺ إبان فترة مكة والمدينة.

مهام جهاز الأمن في الدولة المسلمة

جهاز الأمن والاستخبارات في الدولة المسلمة ليس لقمع الشعوب المظلومة، وكبتها وتقييد حريتها، وليس للحجر على الأفكار الراشدة المستندة على نصوص الشرع، وليس لإخضاع الشعوب لأفكار، وسياسة دخيلة عليها، بل هو جهاز تحكمه القوانين الربانية لتحقيق أهداف أساسية، ومهام نزيهة تصب كلها في المصلحة العامة للأمة الإسلامية.

فمن واجبات جهاز الأمن في الدولة المسلمة أن يراقب الموظفين العاملين في الدولة عقب الاختيار الحسن لهم للتأكد من قيامهم بمسؤولياتهم دون تلكؤ، ومراقبتهم حتى لا يسربوا أسرار الأعمال التي يقومون بها إلى أعداء الأمة.

كما أن جهاز الأمن والاستخبارات في الدولة المسلمة يراقب تحركات العدو العسكرية. بهدف إفشال أي عدوان محتمل، وإحباط أي تحرش في اللحظة المناسبة، وذلك بالتجسس على تحركات العدو العسكرية، ومدى التعرف على أسراره، ومواقعه النظامية، وفنونه القتالية، ومدى استعداد وحجم قواته، وآلياته، ولقد ضرب الرسول. المثل الأعلى في ذلك.

ومن أبرز مهام جهاز الأمن في الدولة المسلمة مراقبة نشاط الأجانب داخل البلاد المسلمة، ورصد تحركاتهم، ونفوذهم لمنع ظهور ما يعرف بـ(الطابور الخامس) الذي يرجع إليه السبب الأكبر في سقوط الدول والحكومات [كار، ١٤٠٥هـ، ١٢]. ولقد سلك الرسول ﷺ هذا المسلك، وتمكن بذلك من منع محاولات أعدائه ضد الدولة المسلمة آنذاك، وأبطل كل خططهم في الداخل، كما سنرى في ثنايا هذا البحث.

وليس عمل المخابرات في الدولة المسلمة قاصراً على الداخل فقط بل يتعداه إلى الخارج حيث ينبغي بث العيون وسط الأعداء، وداخل دول الكفر ليكون المسلمون على علم بما يجري في تلك البلاد، وما يخططه الأعداء للأمة الإسلامية من كيد، ودس فيكون الحاكم المسلم على علم تام بما يدبره الأعداء من حوله حتى لا يؤخذ عن غرة. فقد كان للنبي ﷺ عيون، وأرصاد خارج المدينة. ففي مكة كان عمه العباس. وفي القبائل العربية كان له عيون يأتونه بالأخبار. وله عيون في بلاد فارس والروم(*).

أهميته وضرورته

١ ـ بعد أن أشرنا إلى الخطوط العريضة للجانب الأمني في القرآن، وأظهرنا اهتمام النبي ﷺ به، وتطبيقه عملياً له، وبعد أن تطرقنا لمشروعية العمل الأمن في الإسلام فينبغي على الحكومات المسلمة الاهتمام به لما له من دور فعّال في مجريات الأحداث في عالم اليوم الذي أصبحت فيه أجهزة المخابرات تتحكم في معظم جوانب الحياة.

(*) اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ، محمود شيت خطاب ومحمد جمالي علي.

٢ ـ فأصبح لكل دولة من دول العالم ـ وبخاصة الغربية ـ أجهزة أمنية بالغة القوة تنفق عليها الأموال الطائله حتى أن ميزانية المخابرات الأمريكية بلغت في احد الاعوام المنصرمه ٣٠ مليار دولار [مجلة العالم، ع ٤٢١ ، ٦].
كما أنها تستخدم فيها أحدث الأجهزة، وأقدر الرجال فباتت تمتلك كماً هائلاً من المعلومات في جميع المجالات، فلا تقدم على أي حركة، أو تنفذ أمراً إلا بعد دراسته دراسة دقيقة على ضوء تلك المعلومات الواردة إليها عن طريق جهاز المخابرات الخاص بها؛ لذا غالباً ما يكون النجاح حليفها في معظم تحركاتها.

في الوقت الذي نجد فيه بعض الجماعات الإسلامية تغفل هذا الجانب، فباتت صيداً سهلاً لأجهزة المخابرات العالمية، والمحلية بعد أن علمت بضعف، أو انعدام الجانب الأمني لدى الجماعات الإسلامية مما حمل بريجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي ريغان للأمن القومي على أن يصرح «بأنه مصمم على ألا يفاجأ الأمريكيون مرة أخري بالدور الاسلامي في المناطق الحساسة» وقوله: «لن نسمح للإسلام بأن يلعب دوراً مؤثراً في السياسة العالمية» [وهبة، ١٤٠٣هـ، ٣٥٤].

إن أعداء الأمة اليوم يتربصون بالحركة الإسلامية الدوائر، ويحاولون بشتى السبل النيل منها كي لا تقوم بالدور المنوط بها فهم يعملون ليل نهار على التعرف على أسرارها، والاطلاع على نقاط القوة، والضعف فيها بغية القضاء والانقضاض عليها؛ لذا لزم الجماعات الإسلامية، والحكومات المسلمة العمل على تقوية هذا الجانب، والاهتمام به، وتطوير مفهوم الأمن لديها، فالمسلمون مأمورون بإعداد القوة قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ (الأنفال، ٦٠) ومن القوة ألا يُمكن المسلمون الأعداء

من الاطلاع على أسرارهم وأن يحولوا بينهم وبين الوصول لأي معلومة مهما صغرت عن الأمة. ولا يتحقق ذلك إلا بقيام جهاز أمني قوي على هدى من القرآن والسنة، والاستفادة من تجارب الأخرين بما لا يتعارض مع الشرع.

ولقد كان من ضمن أسباب هزيمة المسلمين في يونيو ١٩٦٧م أن اليهود ـ كما صرح قادتهم ـ استطاعوا كتم أسرارهم العسكرية عن المسلمين من ناحية. وجمعوا أدق المعلومات العسكرية عن الجيوش المسلمة من ناحية أخري. ومن الغريب جداً أن بعض أجهزة الإعلام العربية هيأت لإسرائيل معيناً لا ينضب من المعلومات عن الجيوش المسلمة، وأسرارها التي كان من الواجب أن تكون في حرز حصين فلا ينبغي نشر، وإذاعة تنقلات القطاعات العسكرية من مكان لآخر، ولا نشر وإذاعة شراء الأسلحة، وكمياتها، ومستودعاتها، ونشر صورها [خطاب، ٢١].

ولهذا فإن الحاجة ملحة للحصول على معلومات صحيحة عن مجريات الأمور الظاهرة، والخفية في الشؤون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية وغيرها. وبقدر ما يكون للجهاز الأمنى للأمة من القدرة في الوصول إلى أسرار، وخفايا العدو، والولوج إلى ثغراته بقدر ما يتمكن من رد كيد الأعداء، واستيعاب أي هجوم، أو محاولة لنشر الإشاعات وترويجها.

وإن لكل دولة، أو تنظيم ثغرات لايمكن سدها جميعاً، وإن حرب الاستخبارات هي معركة حول الحصول على المعلومات الخاصة بتلك الثغرات، وتكون المعركة لصالح من يملك زمام المبادرة في ذلك. لأن الحصول على المعلومات عن طريقة المخابرات أمر في غاية الأهمية، وذلك

لأن التحليل ينبني على المعلومة الصحيحة، والكاملة وينبني على التحليل اتخاذ القرار، ويستوجب اتخاذ القرار رد فعل معين من شأنه أن يضعف الأمة أو يقويها.

الفصل الأول

الجوانب الأمنية داخل المجتمع المسلم

١ . ١ الجوانب الأمنية في تعامل المسلمين بالمدينة .

١ . ٢ الجوانب الأمنية في المعاهدات .

١ . ٣ الجوانب الأمنية في مواقف الرسول ﷺ من المنافقين .

١ . ٤ الاحتياطات الأمنية في تنفيذ المهمات الفردية .

الفصل الأول

الجوانب الأمنية داخل المجتمع المسلم

بعد أن تمكن الرسول ﷺ من الخروج من مكة، ولحق بالمدينة، ترتب على ذلك انتقال الدعوة من بيئة لأخرى مما يقتضي اتخاذ تدابير أمنية تختلف عن تلك التي كانت في مكة نسبة لاختلاف الأوضاع في كل من مكة والمدينة. ففي الأولى، كانت الدعوة مضطهدة ومستضعفة. بينما وجدت لها في المدينة أرضاً، وأنصاراً. ولهذا كانت المدينة مهيأة لقيام دولة مسلمة.

أضف إلى ذلك تباين المجتمع في المدينة عن مجتمع مكة، وذلك لوجود اليهود في المدينة. هذا إلى جانب الحرب الأهلية الطاحنة التي كانت تقوم بين الأوس والخزرج [الشريف، ٣٢٢] مكة والمدينة في الجاهلية ومحمد الرسول ﷺ.

فالوضع يتطلب من الناحية الأمنية وضع خطة دقيقة، ونظرة فاحصة لمجريات الأمور حتى يتم تأسيس الدولة، وقيام المجتمع على أسس، ودعائم قوية. وهذا ماحدث على يدى رسول ﷺ.

١ . ١ الجوانب الأمنية في تعامل المسلمين بالمدينة

لكى يحكم الرسول ﷺ روابط الأخوة والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم عقب دخوله المدينة مباشرة. لجأ إلى بناء المسجد وآخى بين المهاجرين والأنصار وقد تضمنت هذه الخطوة عدة جوانب أمنية سنتطرق لها في هذا المبحث:

١ . ١ . ١ الجوانب الأمنية في بناء المسجد

للمسجد دور بارز، وأثر ملموس، في حياة الأمة الإسلامية، وقد كان له القدح المعلا في تربية، وتنشئة جيل الصحابة رضي الله عنهم. ولما كانت الدولة المسلمة الناشئة في أمس الحاجة إلى المسجد، كان أول عمل قام به النبي ﷺبعد مقدمه إلى المدينة المنورة بمجرد أن بركت الناقة، هو الشروع في الإعداد لبناء المسجد [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٢]. وقد كان هذا المسجد بحق يجسد الدعامة الأولى التي قام عليها مجتمع المدينة الأول ألا وهي العقيدة. ففي المسجد كان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون فقه الإيمان والعبادة. هذا مما قوى ارتباط الصحابة بالمسجد تلك المؤاخاة الاجتماعية التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فقد كان المسجد ملتقاهم المفضل والمحبب وكان التخلف عن شهود صلاته عندهم من إمارات ضعف الإيمان.

فبعد أن بركت ناقة النبي ﷺ في مربد لغلامين يتيمين دعاهما فسامهما المربد فقالا: بل نهبه يارسول الله فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير (رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة) وكان رسول الله ﷺ يباشر العمل مع أصحابه وينقل معهم الحجارة. فكانت عمده الجذوع، وسقفه الجريد. وقيل له ألا تسقفه فقال: «عريش كعريش موسى خشبات وثمام»(ثمام: نوع من الأشجار)، [ابن منظور، ج ١٤] وأرضه مفروشة بالرمال [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٥].

وسنحاول هنا الوقوف على بعض الجوانب الأمنية ولعل من أبرزها ما يلي: كان المسلمون يجتمعون في المسجد خمس مرات يومياً وبواسطة هذا

الاجتماع المتكرر في اليوم كانوا يتعرفون على بعض وتقوى روابط الأخوة بين المهاجرين والأنصار، مما يسهل عملية الاندماج التام بين أفراد المجتمع المسلم الناشئ، ويزيل الحواجز التي عادة ما تنشأ بين الزائر والمزور، والضيف والمضيف، وهذا بدوره يساهم في بناء الجبهة الداخلية.

كما أن هذا التعارف عن قرب من خلال اللقاءات اليومية يجعل من الميسور معرفة أي فرد يحاول التسلل، أو التجسس على المجتمع المسلم الذي يجاهد لبناء كيان دولته على أساس من السرية والكتمان، بعيداً عن مراقبة ومتابعة عيون الأعداء. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تكرار هذه اللقاءات يجعل من السهولة بمكان معرفة أي فرد من المجتمع المسلم يتخلف. عن الصلاة جماعة فيتم إثر ذلك التعرف على سبب تخلفه فإن كان مريضاً عادوه، وإن كان خارج المدينة علموا وجهته، وسبب خروجه، مما يزيد من قوة رابطة الأخوة وهذا يساعد أيضاً في تماسك الجبهة الداخلية.

كما أن الالتزام بمواقيت الصلاة يعلم المسلم الانضباط التام والتقيد بالوقت. وهذا أمر هام وضروري في العمل الدعوي المنظم. كما أنه ضروري وهام لرجل الأمن الذي تقوم كل تحركاته على التقيد بالوقت.

واجتماع المسلمين في المسجد على اختلاف ألوانهم، وألسنتهم، ومكانتهم الأجتماعية، ومناصبهم الإدارية في صف واحد دون تمايز، يقضي على نوازع العنصرية والقبلية، والتي غالباً ما تستغلها مخابرات الأعداء لخلخلة الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم(*). وبالتالي يكون المسجد، قد فوت على الأعداء سلاحاً خطيراً كان يمكن أن يستغله أعداء الأمة.

(*) ولعل خير شاهد على ذلك ما يجري الآن في الصومال وأفغانستان.

لقد كانت الدولة المسلمة الوليدة في حاجة ماسة إلى مقر للقيادة تدير منه أمور الدولة. فكان المسجد آنذاك من أنسب الأمكنه لمقر القيادة لأنه يجمع بين التربية الروحية، والتربية التنظيمية، وهو أهم ما تحتاجه الدولة وقتها. حيث لم يكن المسجد ساعتها موضعاً للصلوات الخمس فحسب بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم وتوجيهات الإسلام، ومنتدى تلتقي وتتألف فيه العناصر، وقاعدة لإدارة جميع شؤون الأمة وبرلماناً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ١١٧].

كذلك كان المسجد النبوي مأوى للعديد من فقراء المسلمين [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ١٣]-أهل الصفة-وهي مشكلة واجهت المسلمين، ففكر الرسول ﷺ في إيجاد مأوى للفقراء المهاجرين الذين لم يجدوا مأوى فحول مكان القبلة التي كانت إلى بيت المقدس بعد تحول القبلة إلى الكعبة حولها إلى سكن لأهل الصفة [السمهودي، ١٣٢٦هـ، ٣٢١].

وهذا التصرف درء لباب كان يمكن أن يؤتى المجتمع المسلم من قبله فربما كان الفقر، وعدم المأوى، فتنة لبعض المؤمنين قد تضعف إيمانهم، أو أن الأعداء ربما استغلوا هذا الوضع للدعاية ضد الإسلام بأن أهله فقراء، ومتشردين لايجدون مأوى، ونحو ذلك. مما يكون له الأثر في صد بعض الناس عن الدخول في الإسلام.

ومن الجوانب الهامة في بناء المسجد، مشاركة الرسول ﷺفي العمل بنفسه. وهنا تظهر لنا عظمة القيادة الحكيمة الواعية، فلم يترفع ﷺ عن العمل بحجة كونه القائد العام للمسلمين، ويكفيه أن يصدر الأوامر، والقاعدة تنفذها، بل حمل اللبن، وشارك الصحابة رضي الله عنهم فكان لهذا التصرف بعده الأمني الواضح فهذا التواضع يزيد من محبة الصحابة

لرسول الله ﷺ بخلاف القائد الفظ الغليظ والمتكبر. فالتف الصحابة رضي الله عنهم حول رسول الله ﷺ ولم ينفضوا من حوله وذلك لخلقه الرفيع، قال تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك.. ﴾ (آل عمران، ١٥٩).

ولايخفي ما في ذلك من أهمية، فعندما تلتف القاعدة حول القيادة يكون من الصعوبة بمكان زعزعة الدولة المسلمة، فتصبح أي محاولة لعزل القيادة أمراً بالغ الصعوبة. وأصعب من ذلك محاولة اغتيال القيادة من قبل أحد أفراد المجتمع. فقد كان مجتمع المسلمين في المدينة خالياً من أي مسلم يحقد على قائده، فيدفعه ذلك الحقد إلى محاولة اغتياله، أو يدفعه لتنفيذ مخطط أعدائه تجاه القيادة. فلم ترد في كتب السيرة قط أي محاولة من المسلمين لاغتيال الرسول ﷺ.

ولعل في إصرار النبي ﷺ على شراء أرض المربد من اليتيمين حرصاً على خلوص المسجد لله، واحتياطاً من احتمال أن يرجع اليتيمان في رأيهما، ويطالبان بالأرض بعد بناء المسجد، مما قد يثير إشكالاً، أو ربما قصد ألا يكون لأحد منة على الدولة المسلمة في كونه أعطى الرسولﷺ أرضاً بنى عليها مسجده وبخاصة كان التفاخر سائداً بين القبائل العربية آنذاك فيفتخر أصحاب الأرض على الطرف الآخر من الأنصار مما قد يكون له أثر جانبي على المجتمع المسلم وقتها.

ورغم بعد هذه الاحتمالات عن أصحاب رسول الله ﷺ إلا أن فيما ذكرناه دروساً للأمة المسلمة في حياتها. وقد سبق وأن رفض الرسول ﷺ. أن يأخذ الناقة من أبي بكر رضي الله عنه إلا بثمنها حينما هاجر إلى المدينة [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ١٥٣].

أما مواد بناء المسجد، فقد كانت متواضعة ومتوفرة محلياً كاللبن، وجذوع الأشجار [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٢] ولا يغيب ما في ذلك من نواح هامة فالرسولﷺ لم يرد أن يكلف ميزانية الدولة الناشئة أي أعباء مالية لأنها في ظروف اقتصاديه صعبة لا تسمح لها بتحمل أي أعباء مالية، ولو كانت قليلة. كما أنه أراد أن يسن لأمتة مبدأ الاعتماد على الذات حتى لا ترهن قرارها في أيدي غيرها ممن يلوحون لها بالديون وقطع المعونات، إذا خُولِفت تعليماتهم.

١ . ١ . ٢ الجوانب الأمنية في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار [ابن القيم، ١٣٤٧هـ، ٥٦] وقيل مائة، خمسون من الأنصار وخمسون من المهاجرين [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ١]. وكانت المؤاخاة على الحق والمواساة والتوارث بعد الموت بين المتأخين دون ذوي الأرحام. واستمر ذلك - التوارث - إلى واقعة بدر حين نزلت الآية ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ (الأنفال، ٧٥).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال: لا، تكفونهم المؤنة وتشركونهم في الثمر. قالوا: سمعنا وأطعنا [البخاري، حديث رقم ٢٧١٩]. ومن الأمثله على الصورة الناصعة لتلك المؤاخاة ما تم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الذي قال لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت

عدتها فتزوجها قال: بارك الله لك في أهلك، ومالك. وأين سوقكم [رواه البخاري باب كيف آخى الرسول ﷺ بين أصحابه].

إن المتأمل في النصوص السالفة يجد أنها تضمنت العديد من الجوانب الأمنية والتي من أهمها:

حل المشكلات التي واجهت المهاجرين

لقد واجه المهاجرون حين قدموا المدينة مشاكل اقتصادية، واجتماعية وقد نجمت المشكلة الاقتصادية من ترك ثرواتهم بمكة كما أن مهاراتهم كانت في التجارة التي تمرست فيها قريش، ولم تكن في الزراعة، والصناعة، وهما يشكلان أساسين مهمين في اقتصاديات المدنية. أما عن المشاكل الاجتماعية تمثلت في إحساس المهاجرين بالوحشه، والحنين إلى مكة نتيجة للعلائق الحديثة بالمجتمع الجديد، وتركهم لأهلهم، ومعارفهم بمكة. فقد كان للمعاملة الكريمة، والكرم الفياض والإيثار الواضح كبير الأثر في نفوس المهاجرين مما ساعدهم في التغلب على هذه المشكلة التي كانت يمكن أن تؤثر سلباً على المهاجرين الذين طابت أنفسهم بإخوانهم الأنصار لدرجة أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم. أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير لقد كفونا المؤنة..» [ابن سيد الناس، ١٤٠٢هـ، ٢٠٠].

كما أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على اختلاف قبائلهم، وعشائرهم ساعدت على إزالة رواسب الجاهلية المتمثلة في العنصرية، والحمية، فتبدل الولاء للقبيلة فأصبح لله، والعقيدة. فبات القرشي، والحبشي، والرومي، والفارسي، والأنصاري في بوتقة واحدة. فانصهرت

فيها فوارق النسب، واللون، والوطن. وبالتالي تخلصت الجبهة الداخلية من مشكلة تهدد تماسكها ووحدتها.

مراعاة التخصص حفاظاً على اقتصاد الدولة

لعل هذه النقطة تتضح لنا عندما طلب الأنصار أن يقاسموا المهاجرين في نخلهم. ولكن الرسول ﷺ لم يوافق على ذلك بل أمرهم أن يقاسموهم في التمر دون النخل (رواه البخاري) لأنه يعلم أن الأنصار أدرى بزراعة النخل، وإدارة شؤونهم من المهاجرين الذين برعوا في التجارة دون الزراعة نسبة لطبيعة مكة التي تخالف طبيعة المدينة. فإذا عمل المهاجرون في الزراعة ربما قاد ذلك اقتصاد المدينة إلى كساد، وركود بانخفاض حاد في الناتج من التمر المصدر الرئيسي للاقتصاد بالمدنية آنذاك مما يكون له الأثر البالغ على سير الحياة الاقتصادية. ومنعاً لحدوث ذلك طلب الرسول. من الأنصار القيام بأمر الزراعة، وفلاحة بساتينهم. وفي ذلك مراعاة تخصص أفراد المجتمع المسلم.

وربما كان غرض النبي ﷺ من عدم إشراك المهاجرين في العمل الزراعى أنه يريد من المهاجرين أن يبقوا على أهبة الأستعداد للمواجهة والجهاد. فهم الرصيد الذي يتحرك بهم لعملياته العسكرية خارج المدينة ويريدهم أن يتفرغوا لذلك. وبخاصة أن العمل التجارى مؤقت لا يتعارض مع الجهاد. فالمسلم عندما يدعوه الداعي إلى المعركة لن يتعطل عمله. بخلاف المزارع الذي يطلب منه العمل الدؤوب في مراحل معينة، وإلا خسر موسمه كله [الغضبان، ٣٦٤-٣٦٥]. ومما يؤيد هذا القول ما ذكره ابن سعد في الطبقات قال: «ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً» [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٣]. وعلى ذلك فإن جميع السرايا والغزوات التي كانت قبل بدر تتكون من المهاجرين دون الأنصار.

ولعل اشتراط التوارث في بادئ الأمر للارتقاء بالمؤاخاة إلى مستوى أعمق، وأعلى من أخوة الرحم مما يعمق الصلة بين المسلمين بعضهم البعض فتصبح أخوة الإسلام مقدمة على أخوة الرحم قال ابن إسحاق: «وحدثنى ابن وهب أخو بني عبد الدار أن الرسول الله ﷺ حين أقبل بالأساري ففرقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بهم خيراً. وكان أبو عزيز بن عمير أخاً لمصعب ابن عمير لأبيه وأمه في الأسرى قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى فقال: أشدد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال له: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك»[ابن هشام، ٧٥]. فمجتمع يقدم مثل هذه النماذج يصعب ـ إن لم يستحل ـ اختراقه أو خلخلته.

أما إلغاء التوارث بين المتآخين في الله لاحقاً فكان شيئاً طبيعياً أن يحدث. لأنه كان لمعالجة ظروف استثنائية مرت بها الدولة الناشئة فلما ألف المهاجرون جو المدينة، وعرفوا مسالك الرزق فيها، وأصابوا من غنائم بدر الكبرى ما كفاهم. رجع التوارث إلى وضعه الطبيعي المنسجم مع الفطرة البشرية على أساس صلة الرحم. وأبطل التوارث بين المتآخين في الله [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ١]. وذلك بنص القرآن: ﴿. . وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ (الأنفال، ٧٥).

وكلمة المؤاساة التي وردت في بنود المؤاخاة ليست محددة بأمور معينة، بل مطلقة لتعني كل أوجه العون على مواجهة أعباء الحياة كان عوناً مادياً، أو نصيحة، أو تزاوراً أو محبة. وهذا يدل على حكمة الرسول ﷺ في اختيار الكلمات القليلة التي تتضمن معاني كثيرة وهو شيء هام في مثل هذه المواضع فبدل أن يشترط عدة أمور في عدة سطور، فيمكن الاستغناء عنها بكلمة، أو كلمات محددة. هذا إلى جانب أن الكلمة عندما تكون

عامة فهي تشمل كل الجوانب التي قد يصعب حصرها في بنود محددة .

ولعل من أهم الدروس التي نستطيع أن نخرج بها من هذه الجوانب الأمنية أن نحاول الاقتداء بها حال حدوث هجرة حديثة مع مراعاة الفوارق بين درجة الإيمان بين السلف ، والخلف حيث الإيمان في عهد الصحابة رضي الله عنهم في القمة ، فكان الإيثار مع الخصاصة : ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(الحشر ، ٩) .

فلا يضع المهاجرون المعاصرون أنفسهم في مصاف أولئك الذين تركوا الأموال والأبناء . ولا يضع أهل المهجر أنفسهم في مصاف الأنصار الذين ضربوا المثل الأعلى في الإيثار . وذلك لفارق التربية الروحية والدرجة الإيمانية . ولكن عليهم أن يسددوا ويقاربوا . ويعودوا دائماً إلى ذواتهم ، ويراجعوا سلوكهم ويتفحصوا سيرتهم ليصححوا الخطأ ، ويرتفعوا بمستوى تربيتهم على خط الإسلام الصاعد [الغضبان ، ٣٦٧] .

١ . ٢ الجوانب الأمنية في المعاهدات

تحتاج كتابة العهود ، والمواثيق إلى بعد نظر ، وتدقيق ، وذلك لأن أي ثغرة فيها ربما تقود إلى نتائج وخيمة على الأمة . وقد يستغل الطرف الآخر خبثه في إحداث بعض الثغرات التي تخدم مصالحه ، لذا لزم التأكد ، والتدقيق في كل بند من بنود الاتفاقية ، أو المعاهدة من قبل القيادة المسلمة قبل الموافقة ، والتوقيع عليها والمتأمل في العهود التي أبرمها النبي ﷺ يجدها قمة في الحكمة والحنكة ، بحيث خلت من أي ثغرة يمكن أن يستغلها خصومة . وهذا ما نحاول الوقوف عليه من خلال هذا المبحث .

قبل الخوض في تحليل بنود الاتفاقية سنورد نص الوثيقة التي نظمت علاقة سكان المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود والمشركين وحددت علاقة كل طرف بالآخر.

١ - هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢ - إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣ - المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

٤ - وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

٥ - وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف.

٦ - وبنو ساعده على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

٧ - وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

٨ - وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

٩ - وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

١٠ - وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

١١ ـ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

١٢ ـ وإن المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً «مثقل بالدين» (الجوهري) بينهم أن يعطوه بالمعروف، من فداء أو عقل، وأن لا يحالف، مؤمن مولى مؤمن دونه.

١٣ ـ وإن المؤمنين المتقين، أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعه «العظيمة» (الجوهري) ظلماً، أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً، بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.

١٤ ـ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

١٥ ـ وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦ ـ وإنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

١٧ ـ وإن سلم المؤمنين واحدة لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء، وعدل بينهم.

١٨ ـ وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.

١٩ ـ وإن المؤمنين يبيء «من البواء والمساواة» (الجوهري) بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢٠ ـ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى، وأقومه وأنه لايجير مشرك مالا لقريش، ولانفساً ولايحول دونه على مؤمن.

٢١ ـ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول .

٢٢ ـ وإنه لايحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله ، واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ، أو يؤويه ، وأن من نصره ، أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولايؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣ ـ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٢٤ ـ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لايوقع إلا نفسه وأهل بيته .

٢٥ ـ وإن ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف .

٢٦ ـ وإن ليهود بني الحارث ماليهود بني عوف .

٢٧ ـ وإن ليهود بني ساعد ماليهود بنى عوف .

٢٨ ـ وإن ليهود بني جشم ماليهود بنى عوف .

٢٩ ـ وإن ليهود بني الأوس ماليهود بنى عوف .

٣٠ ـ وإن ليهود بني ثعلبة ما ليهود بنى عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته .

٣١ ـ وإن جفنه بطن من ثعلبه كأنفسهم .

٣٢ ـ وإن لبني الشطبية مثل ماليهود بني عوف وإن لهم البر دون الإثم .

٣٣ ـ وإن موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٤ ـ وإن بطانة يهود كأنفسهم .

٣٥ ـ (أ) وإنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ـ ﷺ ـ .

(ب) وإنه لاينحجز على ثأر حرج وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا .

٣٦ـ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٣٧ـ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٣٨ـ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

٣٩ـ وإنه لاتُجار حرمة إلا بإذن أهلها.

٤٠ـ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ـ ﷺ ـ وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤١ـ وإنه لاتُجار قريش ولا من نصرها.

٤٢ـ وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

٤٣ـ وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

٤٤ـ وإنه لايحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم وإنه من خرج آمناً ومن قعد آمناً بالمدينه إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ـ ﷺ ـ [ابن هشام، ١٠٥ـ ٤٠٥].

بالنظر إلى بنود الاتفاقيه نجد أنها أشارت إلى علاقة المسلمين فيما بينهم ونظمت علاقة المسلمين باليهود. وسنتناول ذلك في مطلبين.

١ . ٢ . ١ الجوانب الأمنية في المعاهدة بين المسلمين أنفسهم

قرر البند الاول أن المؤمنين أمة واحدة من دون الناس، وصار الرباط الأوحد هو العقيده، وانتهى بذلك كل أنواع التعصب القبلي والعرقي، وبالتالي يتحد شعورهم وأفكارهم، وقبلتهم فيصبح المجتمع كتلة واحدة متحدة يصعب تفتيتها، أو اختراقها.

قرر الرسول ﷺ في البند الثالث أن المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وفي ذلك إذابة للكيانات القبلية بين المهاجرين وأصبحوا تجمعاً واحداً تحت هذا المسمى. بينما تضمنت البنود من الرابع وحتى الحادي عشر تقسيم الأنصار إلى عشائرهم الصغيرة.

وربما كانت الحكمة من ذلك ـ تقسيم الأنصار ـ هي إزالة مايعرف بكيان الأوس والخزرج وتفتيته إلى كيانات صغيرة، لأن نار الحرب كانت متقدة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام [مونتجومري، ٢٣١] ولعل في هذا التقسيم إضعافاً لروح التعصب، ففي محاولة إزالة هذين الكيانين تضييق لفرص الحمية الجاهليه بين الأنصار مما يساعد في المحافظة على سلامة، واتحاد الصف المسلم.

نلاحظ أن الوثيقة أبقت على كيان القبيلة، والعشيرة وهذا لايعنى بحال اعتبارها الأساس الأول للارتباط، فقد نهى الإسلام عن العصبية الجاهلية، وإنما أبقى عليها للاستفاده منها في التكافل الاجتماعى الذي يحتم على العشيرة أن تعين أفرادها فإذا قتل أحد منها أحداً خطأً فإنها تدفع دية القتل وقد كان ذلك متعارفاً عليه في الجاهلية، فأقرته الوثيقة لما فيه من التعاون على عمل الخير [ابن سلام، ١٣٨٨هـ، ٢٩٤] ومعنى يتعاقلون معاقلهم الأولى ـ أي على شأنهم وعاداتهم من أحكام الديات [العمري، ١٣٢].

ويظهر لنا الجانب الأمني جلياً في البند الثالث عشر الذي يلزم جميع أفراد المجتمع المسلم بالأخذ على أيدي البغاة والمعتدين والمرتشين، وهؤلاء هم مصدر، ومكمن الخطورة في المجتمع، فمنهم يكون الخائن، والعميل، والجاسوس. فإذا قام كل فرد بدوره على أحسن وجه ونفذ هذا البند حتى على أقرب الناس إليه لندر أن نجد وسط المجتمع المسلم عضواً فاسداً أو عيناً للأعداء. وبالتالي تأمن الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم من أن تُؤتى من داخلها.

وعالج البند الرابع عشر نقطة خطيرة كانت متأصله في نفوس العرب وهي: عملية الأخذ بالثأر ولما كان لابد أن يحدث قتل في الكفار وهذا القتيل، أو هؤلاء القتلى يكون لهم أقرباء في الصف المسلم، منع هذا البند أن يقتل مؤمن مؤمناً بكافر. ولاُينْصر كافرٌ على مؤمن فكُبح جماح الحمية للقريب، فإذا قتل مؤمن كافراً فلا يحق لقريب هذا الكافرِ المؤمن أن يفكر في قتل ذاك المؤمن، وهذا ماخافه عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول حين قال: (يارسول الله أنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبي بن سلول فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمُر لي به فأنا أحمل إليك رأسه فإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي إن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار) [ابن كثير، ١٣٨٨هـ، ١٦٠]. واحتوى البند الثاني عشر على جانب أمني هام حين نص على عدم ترك المدين دون أن يساعده المجتمع على سداد دينه لأنه في حالة عدم مساعدته قد يحقد على المجتمع، وربما يفكر في الانتقام منه مما قد يجعله صيداً سهلاً للأعداء، وحتى لايقع أمثال هؤلاء الغارمين تحت تأثير الحاجة إلى المال الذي ربما حملهم على الانحراف عن جادة الطريق نص هذا البند على إعانتهم.

أما البند العشرون فقد سد ثغرة خطيرة كان يمكن أن تستغلها، قريش، فمنع هذا البند من بقي على الشرك من أهل المدينه من إجارة قريش وتجارتها،

أو الوقوف أمام تصدي المسلمين لها، ولعل هذا البند يبيّن أن النبي ﷺ كان مصمما على المضي في سياسة التعرض لتجارة قريش، فإن عدم ذكر هذا البند في الوثيقة قد يُمكن قيادة قريش من الاستفادة من مشركي الأوس والخزرج في إجارة تجارة قريش، مما يفوت الفرصة على المسلمين في الاستيلاء على تلك القوافل التجارية بسبب تلك الإجازة وحتى تُسد هذه الثغرة نهائياً نص على هذا البند في الوثيقة.

بينما سد البند الثاني والعشرون الطريق أمام المجرمين من أن يجدوا مأوى، أو نصيراً الأمر الذي قد يترتب عليه قلة، أو انعدام الإجرام، وسط المجتمع المسلم. فأي مجرم يعلم يقينا أنه إذا ارتكب جُرماً فلا ناصر له ولامُعين. فغالبا مايكف عن الإجرام. فلا أحد يريد أن ينصب عليه غضب ولعنة الله يوم القيامة فيبلغ عن المحدث فور علمه به دون أن يأويه، أو ينصره.

١ . ٢ . ٢ الجوانب الأمنيه في المعاهدة بين المسلمين واليهود

وابتداء من البند الثالث والعشرين، انتقلت الوثيقه لتحدد علاقة المسلمين باليهود، الأمر الذي يتطلب دقة بالغة، وبصيرة واعية حتى لايجد اليهود ثغرة ينفذون من خلالها للنيل من المجتمع المسلم وهذا مافطن له الرسول ﷺ فقد أحكم البنود الخاصة بهم غاية الإحكام فلم يجدوا ثغرة واحدة، لذا لجأوا إلى نقض العهد قبيلة تلو الأخرى كما سياتي معنا في الفصل القادم. فلو كانت بها ثغرة واحدة لاستغلوها ولما لجأوا إلى النقض. فالبند الثالث والعشرون يلزم اليهود بالإنفاق مع المسلمين في حالة الحرب وهذا شرط له دلالته الأمنيه فبالإضافة لكونه يساعد الدولة المسلمة في نفقات الحرب، وبخاصة في تلك الظروف الاقتصادية التي تمر بها الدولة الناشئة فبالإضافة إلى ذلك فربما حمل هذا البند اليهود على السعي من أجل ألاتكون

هناك حرب بين المسلمين وغيرهم من العرب بما فيهم قريش. وذلك تجنبا للالتزام المالي في نفقات الحرب. واليهود قد عرفوا بخاصة بحبهم للمال وجمعهم له [منتجومري، ٣٣٥].

أما البنود من الرابع والعشرين وحتى الثلاثين فقد نسبت يهود العرب إلى عشائرهم العربية ولهذه البنود أهمية أمنية فهذه النسبة ربما ساعدت في دخول يهود العرب في الإسلام، وذلك من خلال معايشة قومهم، ومعرفة الإسلام عن قرب من خلال تعامل المسلمين. هذا بخلاف ما لو نسبوا إلى اليهود فربما عمل اليهود على تشويه صورة الإسلام في أذهانهم، وإقناعهم بأن اليهودية هى الدين الحق وهو أمر وارد. هذا إلى جانب أن نسبتهم إلى اليهود تكثر من سواد اليهود في المدينة الأمر الذي قد يكون له أثره على المجتمع المدنى في تلك الحقبة من الزمان.

قرر البند الخامس والثلاثون (أ) منع أي أحد من اليهود من مغادرة المدينة إلا بإذن محمد ـ ﷺ ـ وفي ذلك احتياط أمنى فهذا البند يقيد تحركات اليهود خارج المدينة، وذلك يمنع احتمال قيام اليهود باتصالات خارج المدينة قد تقود إلى اتفاقيات تضر بدولة الإسلام الناشئة. كما أنه يقلل من احتمال تسلل العيون من اليهود إلى خارج المدينة لنقل أخبارها إلى الأعداء وبخاصة قريش. فأى فرد يخرج من اليهود بعد الإذن يكون لدى القيادة المسلمة العلم التام بالجهة، والهدف من الخروج، مما يجعل أمر رصد تحركات اليهود خارج المدينة ميسوراً.

وتضمن البند الأربعون كل الاحتمالات التي قد تستجد من قبل اليهود فيكون الحكم الفصل فيها لله ورسوله ﷺ. وهذا البند احتياط لمنع اليهود، من إحداث، أو استغلال أي أمر مستجد لم تشمله الوثيقة.

وقد وضح البند الأخير من هذه الوثيقة ألاتحول هذه البنود دون ظالم، أو آثم وفي ذلك احتياط من احتمال احتجاج أحد الظالمين، أو الآثمين، أو احتجاج ذويهم بأنه ضمن من تشمله هذه الوثيقة، فينجو من العقاب كما نص على أن من خرج آمن، ومن قعد آمن. وحتى لايستغل المجرمون هذا البند فيحدثوا، أمراً ثم يخرجوا، ويحتجوا بقوله من خرج آمن فلا يطاله القانون جاء التعقيد والاستثناء إلا من ظلم وأثم.

١ . ٢ . ٣ الجوانب الأمنيه في المعاهدة مع الكفار

خرج النبي ﷺ إلى مكة قاصداً العمرة غير أن كفار قريش اعترضوا سبيله في منطقة الحديبية، ولم يسمحوا له بدخول مكة فحصلت مفاوضات بين النبي ﷺ والكفار وانتهت إلى ماعُرف بصلح الحديبية التي تعد من أبرز المعاهدات التي ظهرت فيها حنكة النبي ﷺ. وذلك لمالها من أثر كبير على مجريات الأمور آنذاك، وقد ظهر أثرها جلياً على سير الدعوة وفيما يلى نُورد بنودها [ابن هشام، ٤٢٠ ، وابن كثير، ١٧٠ ، وابن الأثير، ١٣٨٥هـ، ٢٠٤].

البند الأول

الاصطلاح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

البند الثاني

من أتى محمداً - ﷺ - من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد - ﷺ - لم يرده.

البند الثالث

من أحب أن يدخل في عهد محمد ﷺ ـ دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

البند الرابع

أن يرجع الرسول ﷺ عام هذا، وإذا كان العام القابل دخل المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً معهم سلاح الراكب والسيوف في القرب.

إن الذي يدقق في هذه البنود يستطيع أن يخرج بعدة جوانب هامة تشير إلى البعد الاستراتيجى الذي خطط له الرسول ﷺ في كل بند من تلك البنود وسنحاول الوقوف عند كل بند منها على حدة.

البند الأول: إذا تأملنا البند الأول جلياً، نستطيع الخروج بالجوانب الآتية

في هذه الهدنة استراح المسلمون من الحرب، وتفرقوا للدعوة إلى الله في ظل الأمن، والأمان، وفي جو من الهدوء والسكينة. مما أدى إلى كثرة عدد الداخلين في الإسلام في مكة وخارجها حتى بلغ تعداد الجيش الإسلامي بعد سنتين فقط من هذه الهدنة عشرة آلاف [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ٤٩٢] بينما كان في الصلح ألف وخمسمائة، أو ألف وأربعمائة أو دون ذلك كما في بعض الرويات [ابن هشام، ٣٠٩].

أضف إلى ذلك أن المسلمين لم يكونوا هم الذين بدأوا الحرب بل كانت قريش هي البادئة فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُم بدَأُوكم أول مرّة﴾ (التوبة، ١٣).

ومن جانب آخر فقد أتاحت هذه الفتره لقبائل العرب التعرف على

الإسلام والمسلمين عن قرب وتغيرت نظرتها إلى الإسلام ونشأ في نفوسهم حب له فكان ذلك سبباً في دخول بعض هذه القبائل في الإسلام [ابن كثير، ١٦٠].

ظاهر البند الثاني انتصار لقريش، وهزيمة أودنية بالنسبة للمسلمين، ولكن الواقع خلاف ذلك للأسباب الآتية:

إن الذي آمن بالإسلام ودخل فيه لايمكن له أن يرتد عنه، وبخاصة إذا تمكن من قلبه، فيصبح خروجه ضرباً من المستحيل، وهذا ما أيده الواقع في هذه الفترة المبكرة لأن أحداً من المسلمين آنذاك لم يترك الإسلام إلى الكفر بل إن الذين رُدوا من المسلمين إلى الكفار قد لحقوا بأبي بصير، وأبي جندل وكونوا مجموعة جهادية فدائية أخذت تهاجم بضاعة قريش حتى أجبرتهم على المطالبة بإلغاء هذا البند في نهاية المطاف [ابن هشام، ٣٢٤]. كما أن المسلم الذي يترك النبي ﷺ باختياره ليلحق بقريش ليس بمسلم، ولكنه مشرك يشبه قريشاً في دينها، وهي أولى به من نبي الإسلام [العقاد، ٦٢].

لم ينص هذا البند على رد النساء وفي ذلك منتهى الحنكة، والذكاء حيث أن المرأة عامة ضعيفة لاتقوى على ما يقوى عليه الرجل. أضف إلى ذلك، أنه لاتحل للكفار فقد تُجبر على الزواج من مشرك، وتتأكد حرمة زواج المشرك بالمؤمنة، أو العكس بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيرٌ من مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة، ٢٢١).

كما أنه يمكن للمسلم أن يهاجر إلى أي أرض سوى المدينة المنورة فأرض

الله واسعة. وقد هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة. فحينها لاتطالب الاتفاقية الرسول ﷺ إلا برد من حضر إليه في المدينة دون سواها.

أما البند الثالث ففيه دليل واضح على أن قريشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لاتهمها إلا نفسها، وسائر العرب لو دخلوا في الإسلام بأجمعهم لايهم ذلك قريشا، ولاتتدخل فيه، وفي ذلك فشل ذريع لقريش [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ٤٠٩].

ونضيف إلى ماسبق، أن هذا البند الثالث مكن القبائل التي كانت تود الإيمان ولكنها تخشى بأس قريش، مكنها من إعلان إسلامها على الملأ وبالفعل دخلت بعض هذه القبائل في الإسلام كخزاعة (ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٧١].

كما أن الحرب ليست هدفاً من أهداف الإسلام إنما هي وسيلة لتحقيق غاية هي الحرية للناس كل الناس في اختيار العقيدة التي يريدون يقول تعالى: ﴿ لاإكَراه في الدين. . . ﴾(البقرة، ٢٥٦) ولايحول بينهم وبين الحق الذي يريدون حائل، أو أي قوة على ظهر الأرض. وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه، بدون حرب حيث أصبح الناس أحراراً في دخول الإسلام [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ٤٠٧].

أما البند الرابع، فقد انتزع به المسلمون الاعتراف بهم كقوة يحسب حسابها، وتعقد معها الاتفاقيات مع قريش التي كانت تهدف إلى استئصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوم نهايتهم وبالفعل دخل المسلمون مكة بعد عام واحد وأدوا مناسك العمرة دون اعتراض من أحد.

إن في قبول الرسول ﷺ الرجوع من العمرة عام الحديبية فيه حفظ لماء وجه قريش. وهو نوع من إنزال الناس منازلهم وإكرام عزيز قوم ذُل. كما

أن الصد لم يكن نهائياً، وإنما لعام واحد. أضف إلى ذلك أن هذا البند أثار الرأي العام ضد قريش لصدها المسلمين من البيت الحرام مما أكسب المسلمين عطف كثير من القبائل (خطاب، ١٩٣].

ويمكن الاستفادة من هذه الجوانب في واقعنا المعاش وبخاصة إذا طلبت الحكومات في البلاد الإسلامية التفاوض، أو التقارب مع الجماعات الإسلامية فعليها أن تدخل معها في مفاوضات. ولها أن تقدم بعض التنازلات التي ظاهرها ضعف ولكن باطنها نصر، وقوة وبخاصة إذا كان الصلح فيه خير للإسلام والمسلمين. فإذا عرض على الجماعة المسلمة تولى بعض المناصب فلا ترفضها بحجة المطالبة بالكل لا الجزء فينبغي لها أن تأخذ القليل فمتى ماأثبتت نجاحها في المناصب التي تولت أمرها فيمكن أن تزداد الثقة بها فيطالب الشعب بتوليها باقي المناصب التي في أيدي المفسدين.

كما أنه يمكن للحكومات الإسلامية المعاصرة أن تعقد بعض الاتفاقيات مع دول الكفر ريثما تتمكن من بناء قوتها الذاتية. إذا كان ذلك الاتفاق، أو الصلح في إطار استراتيجية شاملة ومن منطلق قوة نسبية بعيدة من الذل والاستسلام.

١ . ٣ الجوانب الأمنية في مواقف الرسول ﷺ من المنافقين

بدأت حركة النفاق بدخول الإسلام المدينة المنورة واستمرت إلى قرب وفاة النبي ﷺ ولم تنقطع في أي وقت تقريباً وإن تغيرت مظاهرها ووسائلها بين الحين والحين [قطب، ١٤٠٢هـ، ٣٥٧٣].

وعلة ظهور تلك الحركة في المدينة دون مكة أن الإسلام كان هنالك

مغلوباً على أمره لايملك حولاً ولاطولاً، ولايملك لأحد نفعاً، ولاضراً، وكان كل من يدخل فيه يعرض نفسه للخطر والضرر. ولم تكن هناك قوتان متماثلتان إنما كان المشركون الأقوياء القاهرون والمؤمنون المضطهدون والمستضعفون [الندوي، ١٤٠١هـ، ١٦٨] فليس هناك مايجعل أحد الناس يضمر خلاف مايظهر، ولكن تبدل الحال في المدينة حيث باتت القوة، والعزة للمؤمنين مما أضطر بعض مرضى القلوب من إظهار الإسلام، وإضمار الكفر [قطب، ١٤٠٢هـ، ٣٥٧١].

ولقد قام المنافقون بعدة مؤامرات ضد الرسول ﷺ، والمسلمين، وسلكوا عدة أساليب من تخذيل، وتآمر مع اليهود، وحرب اقتصادية ضد المسلمين، وبناء مسجد الضرار، وتجسس لصالح أعداء الأمة، وإثارة العنصرية، وغير ذلك. وسوف نحاول تناول هذه الأساليب بشيء من التحليل.

١ . ٣ . ١ موقف الرسول ﷺ من تخذيل المنافقين

إن ماقام به المنافقون في غزوة أحد يعُد أول بادرة تخذيل من نوعها وذلك عندما رجع ثلث الجيش عقب خروج الجيش المسلم لملاقاة قريش قال ابن إسحاق: « . . حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس. فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب» [ابن هشام، ٦٤].

إن هذا التصرف قُصد به التخذيل فلو كان صادقاً فعلاً لما خرج من المدينة أصلاً بحجة أنه لم يسمع كلامه، ولكن كونه يخرج مع الجيش، ثم يرجع بثلث الجيش يؤيد أنه قصد بذلك التخذيل؛ لأن الرجوع وبهذا العدد

له أثر عظيم، وبالغ على معنويات الجيش المسلم. وربما فكر بعض ضعاف الإيمان في اقتفاء أثر هؤلاء المنشقين. وقد أشار القرآن إلى أن بعض الفئات من المسلمين كادت تستجر مع أهل النفاق المنخذلين ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (آل عمران، ١٢٢). ويقول سيد قطب: «وهاتان الطائفتان أثرت فيهما حركة عبد الله بن أبى، وما أحدثته من رجة فى الصف المسلم من أول خطوة في المعركة فكادتا تفشلان، وتضعفان لولا أن أدركتها ولاية الله وتثبيته» [قطب، ١٤٠٢هـ، ٤٦٨].

وأسلوب آخر من التخذيل قام به من بقي من المنافقين داخل الجيش المسلم تمثل في إشاعة الفوضى، والرعب في صفوف الجيش المسلم وهؤلاء فضح أمرهم القرآن: ﴿. . . يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ها هنا﴾ (آل عمران، ١٥٤) ولعل بقاء هؤلاء وسط الجيش كان بأمر من ابن سلول للقيام بهذا الدور في حالة فشل أسلوب الانشقاق. وفعلاً قام هؤلاء بالترويج لإشاعة مقتل رسول الله ﷺ وقال بعضهم «ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم ويعتلوكم» [الغضبان، ٢٥٣].

نستطيع أن نستنتج من هذا القول أنهم أشاعوا مقتل رسول الله ﷺ ليفتوا في عضد الناس، مما يؤثر على معنوياتهم وهمتهم القتاليه. ولم يكتفوا بذلك بل دعوا الجيش المسلم للاستسلام ووضع السلاح وذلك بقولهم (فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم ويعتلوكم).

وفي الحديث السابق ما يؤيد أن لهؤلاء القوم دوراً مرسوماً، وبقوا بأمر من ابن سلول ويظهر ذلك من قولهم: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن

أبي . .) فيشعر المتأمل لهذا القول بالصلة ، والعلاقة الواضحة بين المنافقين الذين بقوا في الجيش ، وقائدهم المنشق .

وبرز دور التخذيل واضحاً في غزوة الأحزاب ، وذلك بعد أن فضحهم القرآن الكريم : ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلاغرورا﴾ (الأحزاب ، ١٢) وذلك حين قال أحدهم : « يعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لايأمن أن يذهب إلى حاجته ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا» [ابن هشام ، ٢٢٢] . يقول سيد قطب : «فقد وجد هؤلاء من الكرب ، والزلزلة ، والشدة الآخذة بالخناق ، فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد ، وفرصة للتوهين ، والتخذيل وبث الشك ، والريبة في وعد الله ووعد رسوله ، وهم مطمئنون من أن يلومهم أحد مما يقولون فالواقع بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك . . . ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة وموقفهم في الشدة هو موقف إخوتهم هؤلاء فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان» [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ٢٨٣٨] .

لقد كان دور التخذيل في غزوة الأحزاب موزعا بين عدة طوائف من المنافقين فإذا قالت طائفة ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا فكان على الطائفة الأخرى أن تقول : ﴿وإذقالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا﴾ (الأحزاب ، ١٣) . فهذه الطائفة تحرض أهل المدينة على ترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا لا موضع لها ، ولا محل ، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم وهي دعوة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها ثغرة الخوف على النساء والذراري . والخطر محدق والهول جامح ، والظنون لاتثبت ولا تستقر [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ٢٨٣٨] .

وظهر هذا التخذيل بصورة واضحة أيضاً في غزوة تبوك حين أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس من الخروج وكانوا يخوفونهم بصعوبة الغزو في الصيف. وقد سجل القرآن قولهم: ﴿وقالوا لاتنفروا في الحرّ﴾(التوبة، ٨١). فهذه دعوة صريحة للتخذيل عن الجهاد وإضعاف الروح المعنوية (وقد اتخذوا لهم مقرا ينظمون فيه حملات التخذيل والتوهين لمنع الناس من الخروج إلى غزوة تبوك ولكن مصادر النبي ﷺ نقلت إليه خبر ذلك المقر فأمر بعض أصحابه فحرقوا البيت وهرب من فيه من المنافقين. قال ابن إسحاق: «بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله، في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق بيت سويلم ففعل طلحة» [ابن هشام، ٥١٧].

من هذا النص يظهر لنا يقظة أفراد المجتمع المسلم فبمجرد أن وصلت إليهم المعلومة الخاصة بهذا المقر بادروا بإبلاغ القيادة بالخبر. فكان القرار الفوري والذي يتناسب وخطورة ذاك المقر فكان تحريق المقر، وفرار المنافقين.

لم يكتف المنافقون بهذا الدور في غزوة تبوك بل اتجهوا إلى أسلوب آخر تمثل في إثارة الحرب النفسية، فاخذوا يخوفون الجيش المسلم بقوة، وسطوة جيش الروم. قال ابن إسحاق: «وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت، ومنهم رجل من أشجع يقال له مخشن يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضم لبعض اتحسبون أن جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال» [ابن هشام، ٥٢٥].

وهذا القول كان محاولة لارهاب المؤمنين، وتوهيناً لروحهم المعنويه غير أن محاولاتهم ذهبت أدراج الرياح، فقد خذل الله الكفار ونصر عباده الصادقين.

١ . ٣ . ٢ موقف النبي ﷺ من تآمر المنافقين مع اليهود

بعد نقض يهود بنى النضير العهد، وطلب الرسول ﷺ منهم مغادرة المدينة، أخذوا يجهزون للرحيل، وعندما علم المنافقون بعزم بني النضير على الخروج امتثالاً لأمر الرسول ﷺ اتصل بهم المنافقون سراً يطلبون منهم عدم الاستسلام، وأنهم معهم في حالة القتال، أو الإخراج قال ابن إسحاق: «وقد كان رهط من بني عوف من الخزرج منهم ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم» [ابن هشام، ١٩١].

هذا الاتصال من قبل المنافقين أعاد الثقة لليهود، واستقروا على المناوأة بعد أن كانوا قاب قوسين من الخروج وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأي المنافقين فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لانخرج من ديارنا فاصنع مابدا لك [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ٣٤٨]. و قد سجل القرآن الكريم هذه الخيانة قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ (الحشر، ١١).

إذن اتصال المنافقين باليهود غيّر مجريات الأمور. فبعد أن قرر اليهود الرحيل فإذا بهم يغيرون رأيهم، ويتخذون موقفاً مغايراً للموقف الأول، ويعلنون التحدي، والاستعداد للمنازلة. ولايخفى ما لذلك من أثر على

وضع المسلمين الذي قد لايتحمل دخولهم في حروب متعددة الجبهات .

وفي غزوة بني قينقاع ظهر تحيز المنافقين لليهود وبصورة واضحة . ويقول ابن إسحاق : (وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد مابينهم وبين رسول الله ﷺ فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله ابن أبي حين أمكنه الله منهم فقال يامحمد أحسن في مواليّ فأعرض عنه فادخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال أرسلني ، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُللا ثم قال ويحك أرسلني قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله أمرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله ﷺ : هم لك [ابن هشام، ٤٨] .

إن فعل رأس المنافقين هذا يعُد موالاة ظاهرة لليهود وبالرغم من الخيانة التي بدرت منهم فقد دافع عنهم ابن سلول وبصورة قاسية مع الرسول ﷺ وقد منع بفعله ذاك الرسول ﷺ من إنزال العقوبة على بني قينقاع والتي كان يمكن أن تكون درساً وعبرة لباقي طوائف اليهود فتعتبر بما حدث لبني قينقاع وتفكر ألف مرة قبل الإقدام على نقض العهد مع المؤمنين ولكن تدخل ابن سلول فوت تلك الفرصة . فرغم غضب النبي ﷺ والرسول لايغضب إلا في حق - إلا أن ابن سلول آثر الموالاة والانحياز لبني قينقاع وقال : «إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية يهود» [قطب، ١٤٠٢هـ، ٩١٢] وقد سجل القرآن ذلك الموقف المخزي من رجل كان يحسب على المجتمع المسلم فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرةٌ ﴾ (المائدة، ٥١ - ٥٢) .

١ . ٣ . ٣موقفه من قيامهم بالحرب الاقتصادية وبناء مسجد الضرار

١ . ٣ . ٣ . ١ دور المنافقين في الحرب الاقتصادية

بعد أن أخفق المنافقون في التخذيل، والتآمر مع اليهود لجأوا إلى وسيلة أخرى حين استغلوا الشدة التي أصابت المجتمع المسلم، فأمسكوا عن الإنفاق على الصحابة، وبخاصة الفقراء بأمر من ابن سلول قال زيد بن أرقم(*) (خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله) [الشوكاني، ٢٣٠].

وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان في حرب العقيدة، ومناهضة الأديان إنها خطة قريش وهى تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ، ويستسلموا للمشركين وهى خطة المنافقين كما تحكيها كتب السيرة، وقبل ذلك القرآن الكريم لينفض أصحاب رسول ﷺ عنه تحت وطأة الجوع كما توهموا، وهى خطة الشيوعيين سابقاً حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين ليموتوا جوعاً، أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة، وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله، وحركة البعث الإسلامى في بلاد الإسلام بالحصار، والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق [قطب، ١٤٠٢هـ، ٣٥٧٩]. وقد أخفق قديماً، فقد ثبت الصحابة وصمدوا

(*) زيد بن أرقم بن قيس الأنصاري. أول مشاهدة الخندق وشد صفين مع علي رضي الله عنه مات في الكوفة عام ٦٨هـ، [ابن حجر. ١٣٩٨هـ، ٥٦٠].

مع رسول الله ﷺ وأغناهم الله بعد فقر، وقواهم بعد ضعف، وأعزهم بعد ذل. وهكذا ينصر الله عباده في كل زمان ومكان إذا التزموا أمره وثبتوا على دينه. قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ (المائدة، ٦٦).

١ . ٣ . ٣ . ٢ المنافقون ومسجد الضرار

أورد ابن كثير في تفسير قصة مسجد الضرار عند تعرضه لسبب نزول الآية: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً. . . ﴾ (التوبة، ١٠٧). فذكر قصة أبي عامر الراهب وكونه تنصر قبل الإسلام أشار إلى مكانته في قومه قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وعرضه الإسلام عليه، وذكر أن أبا عامر رفض الإسلام حين دعاه الرسول ﷺ وخرج فاراً إلى كفار مكة يمالئهم على الرسول ﷺ فكانت غزوة أحد وبعد أن قويت شوكة الإسلام ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق والريب ويعدهم ويمنيهم بأنه سيقدم بجيش يقضي به على رسول الله ﷺ وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك. فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج الرسول ﷺ إلى تبوك فقالوا يارسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة، والليلة المطيرة والشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فوعدهم بذلك بعد حضوره من تبوك. ولكن القرآن فضح أمرهم وقصدهم من بناء المسجد [ابن كثير، ٣٨٨]، قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لاتقم فيه أبداً لمسجدٌ أسس

على التقوى من أول يَوْم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المُطهرين﴾ (التوبة، ١٠٧ ـ ١٠٨).

من التوضيح السابق لقصة مسجد الضرار يظهر لنا وبوضوح مدى التآمر الذي كان يقوده المنافقون ضد المسلمين ببنائهم لذاك المسجد الذي قصدوا من بنائه أن يكون معقلاً ومركزاً لتجمع المنافقين يتصلون من خلاله بأعداء الدعوة خارج المدينة المنورة عن طريق تبادل الرسائل مع المارق الفاسق أبي عامر بواسطة أولئك الرسل الذين يبعثهم إليهم وبالتالي تكون جميع أعمالهم التآمرية بعيدة عن المراقبة والمتابعة فتتم في جو من السرية والكتمان مما يحقق لهم قدرا من النجاح في تحقيق الأهداف التي أنشىء من أجلها المسجد ولكن الله المطلع على السرائر كشف خبث مقاصد المنافقين ففضحهم وحذر المسلمين من مكائدهم . ولكي يبعدوا الشك و الريبة عن هدفهم الحقيقي من وراء بناء المسجد طلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي لهم فيه فهذا الطلب يبعد أي ريبة من قبل النبي ﷺ والمؤمنين تجاه هذا المسجد بدليل أن النبي ﷺ وعدهم خيراً ولولا الوحي لصلى فيه . وربما أرادوا من طلبهم أيضاً أن تكون تلك الصلاة سبيلاً لإقبال بعض المؤمنين عليهم والاتصال بهم، وبذلك يستطيعون إغراءهم، وانتزاعهم من صفوف النبي ﷺ، وأصحابه، وبهم يكثر سوادهم وتقوى شوكتهم [شلتوت، ١٤٠٥هـ، ٢٦٨].

قال الشوكاني : «فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الباعث لهم على بناء المسجد أمور أربعة الأول : الضرار لغيرهم وهو المضاررة، والثاني : الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق والثالث : التفريق بين المؤمنين لأنهم أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء فتقل

جماعة المسلمين، وفي ذلك اختلاف الكلمة، وبطلان الإلفة. والرابع: الإعداد لمن حارب الله ورسوله [الشوكاني، ٤٠٣].

ومؤسسة بهذه الخطورة لابد من التصرف حيالها بحزم وهذا ماتم فعلاً. فبعد أن تأكد النبي ﷺ من الهدف الحقيقي من بناء المسجد، عقب نزول القرآن أمر الرسول ﷺ بحرقه، وقال ابن إسحاق: «فلما نزل بذي أوان(*) أتاه خبر المسجد فدعا الرسول ﷺ مالك بن الدخشم، ومعن بن عدوى فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه ففعلا» (ابن هشام، ٥٣٠].

يعد هذا التصرف تصرفاً أمنياً بالغ السلامة، فمسجد بني بقصد النيل من الإسلام، والمسلمين يجب إزالته من الوجود حتى لايبث سمومه، وسط المجتمع المسلم، ويصبح خطراً يهدد الكيان، والوجود المسلم في عقر داره لأنه تقمص ثوب المسجد ظاهرا، والكيد والمكر، والدس جوهراً باطناً.

وفي ذلك درس للجماعة المسلمة وهى تخطو نحو بناء المجتمع المسلم، وقيام الدولة المسلمة. فعليها أن تنتبه لمثل هذه المؤسسات والتي تتخذ من الإسلام ساتراً فتعمل على كشفها وتعريتها، وإزالتها. وهذا المسجد لايزال يتخذ في صور شتى يلائم تطور الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين. فتظهر في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام، وتشويهه، وتمويهه، وتمييعه، وترفع هذه الأنشطة لافتة الدين لتتستر وراءها وتخفي هدفها الحقيقي ومرة تتخذ صورة تشكيلات، وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام (يُذبح

(*) موضع بالقرب من المدينة.

ويُمحق) فتخدرهم هذه التشكيلات، وتلك الكتب أن الإسلام بخير ولا خوف عليه ولاقلق ونسبة لازدياد مساجد الضرار هذه، فيتحتم كشفها وانزال اللافتات الخادعة عنها وبيان حقيقتها للناس، وماتخفيه وراءها ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد رسول اللهﷺ (ابن هشام، ٥٣٠).

وإن كانت المنشأة الفاسقة ألبسها أهلها في صدر الإسلام ثوب المسجد، وعبادة الله وطاعته فإنها في عصرنا الحاضر إضافة إلى ماذكرناه-يلبسها أهلها أثواب أغراض متعددة يلبسونها ثوب الثقافة والعلم، ثوب الحضاره والفن، والعلاج والرحمة، والاقتصاد والمال وأخيراً التدخل العسكرى الأجنبي تحت اسم وقاية البلاد من نشر الفوضى، وصيانة، أو حفظ حقوق الإنسان.

١ . ٣ . ٤ المنافقون واستغلال الحوادث، والظروف التي تمر بالمسلمين

بعد إخفاق المنافقين في الأساليب السالفة لجأوا الى أسلوب آخر تمثل في استغلال الحوادث والظروف التي تمر بالمسلمين فمتى طرأ طارئ على المجتمع المسلم استغله المنافقون لخدمة أهدافهم ومآربهم، والمتتبع لسيرة هذا الصنف مع المجتمع النبوي الراشد يجد أنهم فعلوا ذلك في أكثر من مناسبة وأكثر من حدث:

أ - **الموقف الأول:** عندما حدث شجار بسيط بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار في غزوة بني المصطلق، وكاد ذلك الشجار أن يقود إلى مواجهة بين المهاجرين والأنصار، حاول زعيم النفاق استغلال هذا الحدث ليحدث به شرخاً في المحتمع المسلم. بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين صرح بإخراج الرسولﷺ من المدينة المنورة. قال ابن إسحاق: «فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد

فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ماعدنا وجلابيب (*) . قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بأيدكم لتحولوا إلى غير داركم» [ابن هشام، ٢٩١] فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر رأس النفاق فوضح أن ابن أبي بن سلول استغل هذا الحدث لينفس عما بداخله من غيظ وحقد، وكراهية للدعوة، وقائد الدعوة وحاول جاهداً إثارة الحمية الجاهلية بين المهاجرين والأنصار. وحرض الأنصار وحثهم على التخلي عن المهاجرين. وهذه دعوة صريحة لتفتيت الجبهة الداخليه المتماسكة والتي طالما صمدت أمام دسائسهم ومكائدهم. لم يكتف بذلك بل ذهب إلى أكبر منه حين صرح بإخراج الرسول ﷺ من المدينة واصفاً نفسه بالأعز والرسول ﷺ بالأذل. وهذا تمرد سافر ضد القيادة العليا في المجتمع المسلم.

وماقام به زيد بن أرقم يعد درساً يستوجب منا أن نقف عنده لنستقي منه الدروس والعبر، فها هو الغلام الحدث زيد بلغ به الحس الأمني أن يصمت وهو يسمع ابن سلول يتحدث بكل ما في نفسه ثم يمضي به بعد ذلك مباشرة إلى القائد العام ﷺ وحده فيبلغه بما سمع وبلغ به الوعي الأمني أن لايحدث بهذا الموضوع أحداً غير رسول الله ﷺ .

وهذا يعني أن المطلوب من كل مسلم أن يكون حارساً أميناً على دعوته وحركته فينقل كل مايسمعه من تجريح وطعن أو رغبة في تخريب الصف.

(*) جلابيب: لفظة تطلقها قريش على المهاجرين، [ابن هشام، ٢٩١].

وتحطيمه، ينقله مباشرة إلى القياده المسلمة عبر قنوات الاتصال بين القمة والقاعدة حسب تسلسل انتقال المعلومة [الغضبان، ٣٦٥].

وثمة درس آخر في تلقي المعلومة والتثبت من صحتها قبل اتخاذ الإجراء اللازم نحوها فقبل أن يبني النبيﷺ على قول زيد قال له: ياغلام لعلك غضبت عليه ؟ قال: لا والله لقد سمعت منه. قال لعله أخطأ سمعك؟ قال: لا يانبي الله. قال: فلعله شبه عليك قال: لا والله لقد سمعت منه يارسول الله [المقريزي، ١٩٤١م، ١٩٩]. ونخرج من الحوار السابق بأن الرسولﷺ وضع ثلاثة احتمالات قبل أن يعتمد هذا القول ويبني عليه.

الاحتمال الأول: أن يكون ناقل الكلام مغرضاً، أو صاحب هوى (لعلك غضبت عليه) ومع أن عبد الله بن أبي هو رأس النفاق فلم يقبل رسول الله ﷺ القالة فيه مباشرة وأحب أن يتأكد من صدق الناقل بأنه ليس له غرض أو مصلحة أو هوى ضد المنقول عنه. إن الحكم السريع من القيادة والتصديق المباشر دون تحقيق كامل لأسباب هذه الأقوال يوقع الجماعة المسلمة في خطأ ربما يكون أكبر من القول نفسه، ونقل المغرض، وحقد الحاقد، وغضب الغاضب قد يؤثر سلبياً في الصف كله.

الاحتمال الثاني: أن يكون ناقل الكلام غير دقيق في نقله (لعله أخطأ سمعك) فلا يبعد أن يكون الناقل خاطئاً فيؤدي إلى زيادة، أو نقصان في الكلام يغير المعنى كله، ولايصل إلى هذا المدى من الخطر وبالتالي يتهم القائل بشيء لا أصل له، أو زيد عليه فغير معناه. إن خطأ السمع احتمال أساسي آخر ينبغي التحرز منه حين الاستماع لطرف دون طرف.

الاحتمال الثالث: أن يكون الفهم خاطئا للكلام المنقول (فلعله شبه عليك) وهذا احتمال وارد وقوعه في الصف المسلم. فيمكن أن يفهم الكلام المنقول على غير معناه وحينئذ تتأزم الأمور لسوء فهم من طرف واحد ثم تبنى الأحكام كلها على ضوء هذا الفهم السيء، وبالتالي يتصدع الصف نتيجة أوهام وليست حقائق، ونتيجة تفسيرات وفهم غير دقيق لما ينقل من كلام.

ولهذا فعلى القيادة أن تضع هذه الاحتمالات الثلاثة «غرض في النقل أو خطأ في نقله أو خطأ في فهمه) في الحساب حين نشوء المشاكل، وليس من حق القيادة مهما كان الناقل صادقاً والمنقول عنه متهماً، ليس من حقها أن تصدر حكماً قبل التحقيق في صدق القول ثم يلي ذلك الاستماع للمنقول عنه وسماع دفاعه» [الغضبان، ٢٦٦ - ٢٧٧].

ب - **الموقف الثاني:** استغل المنافقون حادثة تخلف السيدة عائشة رضي الله عنها عن الركب في العودة من غزوة بني المصطلق بسبب فقدانها عقدها، ورجوعها إليه تلتمسه، وعند عودتها لمكان الجيش وجدته قد تحرك، فجلست مكانها حتى مر عليها صفوان بن المعطل وحملها على بعيره حتى أدرك بها الجيش وعندما رآها ابن أبي « قال والله مانجت منه ولانجا منها فتولى رأس النفاق كبر هذه الإشاعة وأخذ يروج لها مستعينا برجاله من المنافقين داخل المجتمع المديني» [السهيلي، ١٣٩١هـ، ٢٠].

استغل المنافقون هذه الحادثه أيما استغلال، فلم يكن المقصود بها شخص عائشة رضي الله عنها وحدها، ولكن المراد زوجها ﷺ فأرادوا أن تحوم الشكوك والشبهات حول بيت النبوة ولقد عرف ابن سلول كيف ينسج مؤمراته لولا أن الله كان من ورائه محيطاً وكان لدينه حافظاً ولرسوله عاصما وللجماعة المسلمة راعيا.

فكان حديث الإفك حربا للعقيدة في شخص الرسول ﷺ من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله [قطب، ، ١٤٠٢هـ، ٢٥٠٠] ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم مّا اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ (النور، ١١).

وحديث الإفك أسلوب خبيث كان أخطر أساليب الكيد التي قام بها المنافقون ضد النبي ﷺ وذلك لأن كل ما كان قد كابده ﷺ قبل ذلك من المحن أمور كان يتوقعها وقد وطن نفسه لقبولها وتحملها ولم يكن التقاؤه بها مفاجأة له أما هذه فقد فوجئ بها لأنها ليست مما قد اعتاده أو توقعه إنها شيء آخر وإنها شائعة لو صحت لكانت طعنة نجلاء في أخص ما يعتزبه إنسان ومن هنا كانت الأذيه أبلغ في تأثيرها من كل ماعداها [البوطي، ١٤٠٠هـ، ٢٨٦] بدليل ما أورده ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس وخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق) [ابن هشام، ٣٠٠] فلم يؤثر عنه حسب علمي أنه خطب الناس في أذى تعرض له في شخصه غير هذه المرة.

جـ ـ الموقف الثالث: لم يكتف المنافقون بالأساليب الآنفة بل اتجهوا إلى أسلوب خطير جداً تمثل في التجسس على المسلمين لصالح اليهود وفي إفشاء أسرار الأمة وإشاعتها للأعداء فعندما خرج الرسول ﷺ إلى خيبر، أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول إلى يهود خيبر أن محمداً قصدكم وتوجه اليكم فخذوا حذركم ولاتخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة وقوم

محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل [المباركفوري، ١٤٠٨هـ، ٤٣٢] فهذه خيانة واضحة، وتجسس سافر على أسرار وتحركات الجيش المسلم فقد كشف فيه مسير الجيش نحو خيبر، وكشف عدد وعدة الجيش. وهى من أخطر المعلومات التي غالباً ما تقود إلى هزيمة الجيوش. فهو لم يقف عند إفشاء الأسرار فحسب، بل قام بدور رفع الروح المعنوية لليهود وذلك بالتقليل من شأن المسلمين.

بعد استعراض المواقف السابقة التي أبانت كيد المنافقين نقول: مما لا شك فيه أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار. وذلك لأن أهل النفاق يعيشون وسط المسلمين، فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الأعداء.

ورغم خطر النفاق على المجتمع المسلم، نشير هنا إلى أن الأساس الذي كان يعامل به الرسول ﷺ المنافقين، أنه كان يقبل ماظهر منهم، ويترك إسرارهم لله المطلع على الظواهر والبواطن. ولكنه مع ذلك ماكان يأمن المنافقين على عمل. فطوال فترة تغيبه عليه الصلاة والسلام من المدينة المنورة لم يحدث أن ولى عليها رجلاً من أهل النفاق، بل كان يحرص على اختيار صحابته المخلصين من المهاجرين أو الأنصار.

وهذا درس للدعاة، وولاة أمور المسلمين، ألا يعهدوا بالأعمال المهمة، والمناصب الحساسة إلا لمن لم تظهر عليهم شبهة نفاق، أو موالاة أعداء الأمة، كأولئك الذين يعتنقون المذاهب الهدامة، أو يتباهون بولائهم لأعداء الله من الكفار.

١ . ٤ الاحتياطات الأمنية في تنفيذ المهمات الخاصة

ثمة مهمات تحتاج في تنفيذها إلى فرد، أو قلة من الأفراد، ولا تتطلب مجموعة من الناس، نسبة لحساسيتها وطبيعتها السرية، كما أنها تحتاج إلى قدر كبير من التخطيط الدقيق، في كل مرحلة من مراحلها، وتحتاج أيضاً إلى الدقة في التنفيذ. فأي إخفاق في التنفيذ، أو التخطيط يقود الى فشل تلك المهمة وتعرض القائمين بها إلى خطر حقيقي. ولقد أوكل الرسول ﷺ إلى بعض الأفراد القيام بمهام مختلفة يمكن إدراجها تحت مايسمى بالمهمات الفردية. وقد كانت غاية في الأحكام تخطيطاً وتنفيداً، وجرأة وتكللت جل المهمات الفردية في عهد النبي ﷺ بالنجاح التام وسوف نحاول أن نقف على بعض هذه المهمات في هذا المبحث بعونه تعالى.

١ . ٤ . ١ فك أسر عياش وهشام رضي الله عنهما

لقد قام أبو جهل والحارث باختطاف عياش وحبسوه في مكة في بيت واحد مع هشام بن العاص. وأحب الرسول ﷺ أن يجد مخرجاً لهما فانتدب لهذه المهمة أحد أصحابه قال ابن إسحاق: (إن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة (*): أنا لك يارسول الله بهما. فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين-تعنيهما-فتبعها حتى عرف موضعهما. وكانا محبوسين في بيت لاسقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت

(*) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أسر في بدر وأسلم بعد فدائه شهد مع الرسول ﷺ عمره القضاء [ابن الأثير، ٤٥٤].

قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : (ذو المروة) لذلك ، ثم حملهما على بعيره وساق بهما حتى قدم على رسول اللهﷺ المدينة [ابن هشام، ٤٧٦] . أن المتأمل للكيفية التي تمت بها هذه المهمة يستطيع أن يستخلص منها عدة جوانب أمنية ساعدت في نجاح العملية والتي من أبرزها :

لم يعين الرسولﷺ لهذه المهمة شخصاً بعينه وإنما انتدب لها . وهذا تصرف أمني واضح فإذا ألزم شخص بعينه ، ربما يكون ذلك الشخص غير مستعد للقيام بهذه المهمة . أو لا يملك القدرة على تنفيذها ، مما يؤثر سلباً على نجاح العملية . لذا جعل الرسولﷺ الأمر بالخيار ليقوم الذي يجد في نفسه المقدرة على القيام بهذا الدور ، ولديه الاستعداد التام لتنفيذها . لذا تطوع لهذه المهمة الوليد بن الوليد رضي الله عنه ، والذي أثبت حقاً أنه أهل لهذا الدور .

إن الطريقة التي دخل بها الوليد مكة تدل على حسه الأمني العالي فقد دخلها مستخفياً وذلك حتى لا يعرفه أحد من أهل مكة وبخاصة هو معروف لدى أهل مكة فإذا دخلها دون أن يستخفي فيمكن التعرف عليه بسهولة وبالتالي يعرض نفسه للخطر والمهمة للفشل . ولكن بدخوله مستخفياً فوت على قريش فرصة التعرف عليه قبل إنجاز مهمته .

ومما يدل على حسن تصرفه ، وصدق فراسته ، سؤاله لتلك المرأة التي كانت تحمل الطعام . فحسه الأمنى دله على أن وراء حمل الطعام هذا سراً ، ربما قاده إلى بغيته . وقد تحقق له ما أراد حين تحصل على المعلومة الخاصة بمكان وجود عياش وهشام رضي الله عنهما . وفي هذا دلالة على دقة ملاحظة الوليد رضي الله عنه . والتي توصل من خلالها إلى معرفة الموضع الذي يحبس فيه صاحباه وهذا مايجب أن يكون عليه حال رجل الأمن المسلم

من دقة في الملاحظة واستغلال للسوانح في الوصول إلى الغاية المنشودة والمعلومة المطلوبة .

لقد تخير الوليد رضي الله عنه الوقت المناسب لتنفيذ مهمته ، فعندما ذهب خلف المرأة ، وعلم بمكان صاحبيه لم يقتحم المكان مباشرة ؛ لأن الوقت غير مناسب والطريقة ـ الاقتحام ـ غير مجدية ، فالوقت نهار فيصبح الأمر مكشوفاً للمارة ، ويقود للمواجهة بينه وبين قريش ، وهذا ما لا طاقة به . لذا انتظر الوقت المناسب فنفذ العملية ليلاً مختفياً بذلك عن عيون قريش .

ويتضح لنا حسه الأمنى أيضاً في كيفية الدخول إليهما ، فهو لم يفكر في كسر ، أو إزاحة باب الدار لأن ذلك يؤدي إلى إصدار صوت يلفت إليه النظر ، أو ربما كان على الباب ، أحد الحراس ، كما أن كسر الباب أو إزالته يستغرق زمناً طويلاً ، وهو مايجب استبعاده تماماً لأن وضع المهمة يقتضى إنجازها فى أقل وقت ممكن ، وهذا ما يحققه تسلق الحائط الذي لا يستغرق زمناً طويلاً وبخاصة أن البيت لا سقف له .

أما الطريقة التي تخلص بها من قيودهما تدل كذلك على حسن تصرفه ، حين وضع تحت القيدين (مروة (*)) وضربهما بالسيف فقطعهما فوضع القيدين معاً كي يتخلص منهما مرة واحدة ، بدل أن يتخلص من كل قيد على حدة . وفي هذا التصرف اختصار للزمن . أما وضع الحجر الأملس تحت القيدين من أجل أن يتمكن السيف من قطع الحديد في ضربة واحدة بخلاف مالو لم يضع تحته شيء صلب ، فربما احتاج قطعهما إلى أكثر من

(*) نوع من الحجارة أملس .

(**) قام الباحث بإجراء تجربة على حجر أملس فظهر له ذلك .

ضربة وهذا قد يعرض العملية للفشل لذا وضع الحجر ساعده على قطع القيدين من ضربة واحدة. كما أن الحجر الأملس لايصدر صوتاً عالياً(**) وهو ماتتطلبه العملية مخافة أن تسمع قيادة قريش الصوت وبالتالي تحبط المحاولة.

١ . ٤ . ٢ القضاء على فتنة كعب بن الأشرف

بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها، أخذ كعب بن الأشرف يحرض على الرسول ﷺ ويتشبب(*) بنساء المسلمين وأخذ يهجو الرسول ﷺ [ابن هشام، ٥٤] . فرجل هذا شأنه يعُد خطراً على الدولة الناشئة تجب إزالته. كما يعُد فعله هذا نقضاً صريحاً للوثيقة التي عقدها الرسول ﷺ بين المسلمين واليهود وبفعله هذا جنى على نفسه وذلك بنص بنود الاتفاقية التي تقول: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ -يهلك- إلا نفسه وأهل بيته. وكعب هذا أثم وظلم وغدر(**).

قال محمد بن إسحاق: (كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طي ثم أحد بنو نبهان وأمه من بني النضير، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة قال والله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبير السهمي وجعل يحرض على قتال الرسول ﷺ وينشد الأشعار، و يندب من قتل من

(*) يقع في أعراضهن.

(**) يمكنالرجوع إلى بنود الاتفاقية في مبحث الجوانب الأمنية في المعاهدات من هذا الفصل.

المشركين يوم بدر. ثم عاد إلى المدينة وجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبي ﷺ . وقال موسى بن عقبة وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم، قد آذى الرسول ﷺ بالهجاء وركب إلى قريش فاستغاثهم وقال له أبو سفيان وهو بمكة أناشدك أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجذور، ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبت الشمال ؟ فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى سبيلاً. قال فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ (النساء، ٥١). ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة(*)، أخو بني عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله أن أقتله قال : فافعل إن قدرت على ذلك قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولايشرب إلا ما يعلق نفسه فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولاً فلا أدري أفي به لك أم لا ؟ قال : إنما عليك الجهد. قال يا رسول الله إنه لابد لنا أن نقول قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك. قال فاجتمع في قتله محمد ابن مسلمة وسكلان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وعيش بن جبر أخو بني حارث.

(*) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي شهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان صاحب المال زيام سيدنا عمر رضي الله عنه اعتزل الفتنة، توفي بالمدينة عام ٤٦هـ[ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٣٨٣].

قال فقدموا بين أيديهم إلى عدو الله كعب، سلكان بن سلامة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا شعراً وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني قال أفعل: ما كان قدوم هذا الرجل علينا إلا بلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد علينا فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله قد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول فقال له سلكان إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك، ونوثق لك، وتحين في ذلك قال أرهنوني أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي. ولقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة [1] ما فيه وفاء وأراد سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها فقال إن في الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه فاجتمعوا عند رسول اللهﷺ ومشى معهم رسول اللهﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال لهم انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته [2] فأخذت امرأته بناحيتها وقالت أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة قال إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر قال يقول لها كعب: لو دعي الفتى لطعنة أجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا هل يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال

---

(١) الحلقة: السلاح والدروع [الجوهري، ١٣٩٩هـ، مادة حلقة].

(٢) ملحفته: ثوب النوم [ابن منظور، لسان العرب، فصل اللام وحرف الفاء، مادة لحف].

إن شئتم فخرجوا فمشوا ساعة ثم إن أبانائلة شام[1] يده، في فود رأسه[2] ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط. ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً. قال محمد بن مسلمه فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح أصابه بعض سيوفنا قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بني بعاث حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزف الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول اللهﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله. وتفل رسول اللهﷺ على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بواقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه [ابن الأثير، ١٣٨٥هـ، ١٤٢ - ١٤٣] إن المتأمل للعملية السابقة يجد أنها كانت في غاية الإحكام والدقة بحيث لم تكن فيها ثغرة واحدة ويرجع ذلك إلى مراعاة الجوانب الأمنية التي نفذت بها المهمة والتي تمثلت في الآتي:

الأشخاص الذين أوكلت إليهم المهمة تربط أحدهم صلة قوية بكعب ابن الأشرف وهذه الصلة أبعدت الشك في مجيئهم له. وأبو نائلة أخو كعب من الرضاعة مما يجعل كعب يأمن جانبهم للقرابة التي تربطه بأبي نائلة.

---

(١) شام: أدخل.

(٢) فود رأسه معظم شهر الرأس مما يلي الأذن.

وذلك الاطمئنان بدأ جليا عندما أعترضت زوجة كعب على نزوله في تلك الساعة من الليل عندما صاح به أبو نائلة فقال لها كعب: إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً لما أيقظني.

كما أن اختيار الوقت كان مناسباً لتنفيذ العمليه كان ليلاً في ليلة مقمرة فالقمر يجعل معالم الاشياء واضحة لأفراد المهمة فيتمكنون من ضرب كعب في المواضع أو الموضوع المفضي إلى القتل بخلاف الظلام الدامس الذي لايجعل معالم الأشياء واضحة فيكون الضرب عشوائياً مما يجعل إصابته للهدف ضعيفة. هذا إلى جانب ما لو حاول كعب الفرار بعد إصابته فيمكن اللحاق به بسهولة في الليلة المظلمة. استخدام الخديعة بعد الإذن من الرسولﷺ كان مهما لتحقيق الهدف وذلك لأن العملية كان من العسير جداً أن تتم بغير هذه الصورة وبخاصة أن كعباً لن يسلم نفسه بسهوله. هذا مع كونه كان يسكن وسط اليهود وفي موقع كامل التحصين[1]. وهو يعرف خطورة عدائه للعصبة المؤمنة ويتوقع أن يكون في حذر شديد من المسلمين فكان لابد من التحايل للدخول عليه، واقتضى ذلك النيل من شخص الرسول ﷺ ليركن إليهم كعب الذي يكن العداوة والبغضاء للنبي ﷺ وهذا جعل كعباً يطمئن أكثر إلى أبي نائلة مما سهل وساعد في تنفيذ العملية.

بعد أن تجاذب أبو نائلة أطراف الحديث مع كعب وتناشدا الشعر اطمأن كعب إلى أبي نائلة فانتقل به إلى خطوة أخرى في تنفيذ العملية فأخبره بأن معه آخرين يشاركونه نفس الرآي تجاه رسول اللهﷺ وتجمعهم الحاجة إلى البر وهم على استعداد لرهن سلاحهم لدى كعب الأمر الذي أغرى كعباً وفي ذات الوقت سهل مهمة الجماعة في تنفيذ العملية وحتى يتم الإحكام

---

(١) شاهد الباحث موقع الحصن بالمدينة المنورة، وما تزال بعض أنقاضه باقية إلى اليرم.

للخطة رفض أن يكون الرهن الأبناء وإنما السلاح وأراد أبو نائلة بذلك الا ينكر كعب السلاح إذا جاء الفدائيون بسلاحهم لتنفيذ العملية فيطمئن كعب عندما يرى السلاح معهم ويعتقد أنهم جاءوا لتسليمه له فلا يثير ذلك في نفسه أدنى ريبة أو شك.

قد ظهر لنا الإحكام في الخطة أيضًا عندما هتف أبو نائلة بكعب ليخرج إليهم من الحصن، فهو يريد بذلك أن يخرجه من حصنه لتسهل عملية اغتياله، فالحصن يعوق انصراف المجموعة بعد تنفيذ المهمة. كما أنهم يكونون عرضة للظفر بهم أثناء تنفيذ العملية، وهو أمر وارد، وبخاصة أن كعباً عندما ضرب صاح صيحة عظيمة أيقظت أهل المنطقة، فأوقد أهل الحصون نيرانهم فلو كانت العملية داخل الحصن كانت فرصة ظفر اليهود بالمجموعة المسلمة كبيرة. لذا كان استدراجه خارج الحصن قمة في التخطيط والإحكام.

واتضح الذكاء الخارق لأبي نائلة في الابتعاد بكعب عن الحصن عندما طلب منه الذهاب إلى شعب العجوز - بظاهر المدينة - فعندما يكون كعب بعيداً عن حصنه، فإن هذا يجعل فرصة نجاح العملية كبيرة وسهلة، وبهذا يفوت على اليهود أي محاولة لإنقاذ كعب أثناء تنفيذ المهمة فلو استغاث وجاء المغيث يجد أن الأمر قد فات. وظهر لنا الإحكام في لحظة كذلك من خلال الكيفية التي تمت بها عملية القتل حين أدخل أبو نائلة يده في شعر رأس كعب لشم العطر، وكرر ذلك مرات كي يطمئن كعب وليحكم قبضته له دون أن يفلت منه فكانت القبضة في موضع يصعب على كعب الفكاك، أو الإفلات منه مما سهل وساهم في عملية القتل، فلو كان موضع القبضة في مكان يسهل منه الافلات ربما أدى ذلك إلى هروب كعب نحو حصنه بعد الضربة الأولى، وبخاصة أنها لم تغن شيئا كما أن التصرف الذي قام به

محمد بن مسلمة كان في غاية الحكمة فعندما رأى أن السيوف لم تغن شيئا استخدم المغول(*) الذي في سيفه، فوضعه مابين السرة والعانة، ثم تحامل عليه حتى بلغ عانته فخر كعب صريعاً وهذا المغول هو الذي أكد مقتل كعب، وحقق نجاح العملية. ولعلنا نأخذ من ذلك العبرة بأن يتزود المسلم بأكثر من سلاح أثناء قيامه بتنفيذ المهمات الموكلة إليه فبالرغم من أن السيوف أقوى وأمضى من المغول إلا أن ما حققه المغول عجزت عنه السيوف.

وفي انتظار المجموعة للحارث المصاب درس أمني ينبغي الوقوف عنده، فربما يصاب أحد أفراد المهمة مما يعطله بعض الشيء وقد يؤدي تخلفه إلى إمساك الأعداء به الأمر الذي يعرضه للخطر وفي ذات الوقت يتم التعرف على الجهة المنفذه للعملية. لذا عندما أصيب الحارث وأبطأ عن أصحابه انتظروه ساعة حتى وصل إليهم وجرحه ينزف دما فحملوه. فلو تركوه ربما شكل ذلك خطورة عليه وعلى أمر المهمة.

وكان من ثمرات تلك العمليه الجريئة، أنها أثرت تأثيراً عظيماً على اليهود فدب الرعب في نفوسهم بل كادت أن تنعدم الأصوات المعادية والمحرضة على الإسلام والمسلمين من قبل اليهود بعد تلك الحادثه.

١ . ٤ . ٣ القضاء على فتنة سفيان بن خالد الهذلي

بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد نزل عرنة(**) وماحولها، فجمع لحربه والتف حوله عدد كبير من الناس [ابن كثير، ١٤١]. ولما كان هذا الفعل فتنة تمثل تهديداً مباشراً لأمن الدولة المسلمة، وخطراً ماثلاً أمامها لذا

(*) المغول: السكين التي تكون في الوسط [ابن هشام، ٥٦].
(**) عرنة: مكان بالقرب من مكة. [معجم البلدان، ج ٤ , ١١٥].

قرر قائد الدولة ﷺ أن يعد للأمر عدته فأوكل إلى عبد الله بن أنيس مهمة قتل سفيان بن خالد فبعثه وحده ليقتله وقال له: أنتسب إلى خزاعة فقال عبد الله: يارسول الله انعته لي حتى أعرفه قال: إذا رأيته هبته، وفرقت منه، وذكرت الشيطان وآية مابينك وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته وأذن له أن يقول مابدا له وكان ابن أنيس لا يهاب الرجال فأخذ سيفه وخرج حتى كان ببطن عرنه لقى سفيان يمشى وراءه الأحابيش فهابه وعرفه بالنعت الذي نعته له رسول الله ﷺ، وقد دخل وقت العصر فصلى وهو يمشى يؤمىء إيماء برأسه فلما دنا منه قال: من الرجل ؟ قال: رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك ومشى معه يحادثه وينشده وقال: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فرق الآباء وسفه أحلامهم فقال سفيان: لم يلق محمد أحداً يشبهني، حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنا منه وحبس عنده حتى نام الناس فقتله وأخذ رأسه واختفي في غار والخيل تطلبه من كل وجه ثم سار الليل وتوارى في النهار إلى أن قدم المدينة ورسول اللهﷺ في المسجد فقال: أفلح الوجه قال: أفلح وجهك يا رسول الله ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر. فدفع إليه عصاه وقال: تخصر بهذه في الجنة فإن المتخصرين في الجنة قليل [المقريزي، ١٩٤١م، ٢٥٤-٢٥٥].

إن أول مايسترعي انتباه الباحث من هذه المهمة، تتبع الرسول. ، ورصده لحركات أعدائه فعلم بما يقوم به سفيان قبل أن يبدأفعلياً في غزو المدينة المنورة فعد للأمر عدته وعالجه قبل أن يستفحل أمره. وهو درس لنا ينبغي الاستفادة منه في مسيرتنا نحو بناء دولة الإسلام فنرصد تحركات أعدائنا قبل أن يأخذونا على غرة.

ونلاحظ أيضاً الحس الأمني الرفيع لرسول الله ﷺ في حسن اختياره لعبد الله بن أنيس(*) فهو رجل لا يهاب الرجال، وهذه ميزة ضرورية لمن يقوم بمثل هذه المهمة البالغة الحساسية والخطورة كما أنه يمتاز بالذكاء، ويظهر ذلك من قوله: انعته لى وهذا يعد غاية في الحيطة والحذر لأنه لم ير سفيان من قبل، ولهذا أراد التعرف عليه دون أن يسأل عنه أحداً لأن السؤال عنه قد ينجم عنه خطر عليه. ومما يدل على ذكائه أيضاً حديثه أمام سفيان عن رسو ل الله ﷺ فوصف دينه بأنه محدث فارق به دين الآباء وسفه أحلامهم. الأمر الذي جعل سفيان يطمئن إليه أكثر فأخذه معه إلى خبائه مما سهل مهمة عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

ويظهر لنا أيضاً الحس الأمني الرفيع لرسول الله ﷺ حين قال لعبد الله انتسب إلى خزاعة وذلك حتى يخفي حقيقة أمره ووجهته عن سفيان. وربما أراد الرسول ﷺ من هذه النسبة - إضافة إلى ماسبق - أن يبعد الشبهة عن قبيلة خزاعة التي تتعاطف مع الرسول ﷺ فيوهم سفيان وغيره أن هوى خزاعة مع أعداء محمد ﷺ وليس معه. كما حدد لعبد الله الآية التي تميز سفيان عن غيره من اتباعه حين قال له وآية مابينك وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته. فلم يكتف بالنعت لاحتمال أن يتشابه هذا النعت مع شخص آخر وحينها تحدث الربكة التي غالباً ما تقود إلى الإخفاق ولكن هذه القشعريرة تميزه في حالة مشابهة سفيان لشخص آخر فمتى ماوجد القشعريرة تيقن أن صاحبها هو سفيان.

(*) عبدالله بن أنيس بن سعد بن حرام الخزرجي حليف بن سلمة، توفي عام ٥٤هـ [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ١٦].

ويتضح لنا حسن تصرف عبد الله كذلك في تخير الوقت المناسب لتنفيذ العملية، فبعد أن تفرق أصحاب سفيان عنه وقام الناس وكان هو وحده مع سفيان نفذ عملية القتل في وقت لم يكن فيه أحد يمكن أن يشاهد سفيان ويساعده، أو يمنعه من عبد الله. فالكل في سبات عميق، وبعد تنفيذ العملية مباشرة ذهب واختبأ في الغار حتى هدأ الطلب عليه فخرج ليلاً وتوارى نهاراً حتى وصل إلى رسول الله ﷺ فائزاً منتصراً.

وتخلل هذه المهمة درس بالغ لنا ينبغي ألا نمر عليه مروراً عابراً دون أن نأخذ منه العبرة. تمثل ذلك الدرس في تأدية عبد الله رضي الله عنه الصلاة ماشياً مع الإيماء، فمع كونه لديه العذر في تأخير الصلاة، أو جمعها إلا أنه أداها في حينها، وهذا ماينبغى أن يكون عليه حال رجل الأمن المسلم بأن يؤدي حقوق الله في أحلك الظروف وأحرجها. لأن ذلك يؤدي إلى اطمئنان القلب والشعور بمعية الله تعالى وهي عوامل ضرورية وأساسية لنجاح رجل الأمن في إنجاز مهماته الموكلة إليه.

ويمكننا أن نحاول التوفيق بين أداء الصلاة وغيرها من الشعائر، وتأدية الواجبات الأمنية بحيث لايكون هناك تعارض بينهما فنخفي الشعائر كما فعل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، أو نتقول على الإسلام كما فعل أبو نائلة.

١ . ٤ . ٤ قتل سلام بن أبى الحقيق (أبى رافع)

كان سلام من اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة [ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ٣٤٣]. وبعد أن تم قتل كعب بن الأشرف على أيدي الأوس رغب الخزرج في إحراز فضيلتهم وأرادوا أن يقتلوا شخصاً من اليهود يكافىء كعباً فلم يجدوا أحداً

مساوياً له في العداوة سوى سلام بن أبي الحقيق. لذلك أسرعوا إلى الاستئذان في قتله فأذن لهم الرسولﷺ فخرجت جماعة قوامها خمسة رجال من الخزرج أميرهم عبد الله بن عتيك(*) وفيهم مسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي وخزاعي بن أسود.

خرجت هذه المجموعة واتجهت نحو خيبر إذ كان هناك حصن سلام فلما دنوا منه - عند غروب الشمس ورواح الناس بسرحهم - قال عبد الله بن عتيك لأصحابه اجلسوا أماكنكم فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب: ياعبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب قال عبد الله بن عتيك فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على ود - وتد - قال فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يُسمر عنده وكان في العلالي(**) له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت عليّ من الداخل. قلت إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت قلت: أبا رافع قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش فما أغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت: وماهذا يا أبا رافع؟ - فقد غيرت صوتي - فقال لأمك الويل إن رجلا في البيت ضربنى قبل بالسيف قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت

(*) عبدالله بن عتيك بن قيس الأنصاري شهد أحد وصفين مات شهيداً يوم اليمامة، عام ١٢ هـ، [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٣٤١].

(**) العلالي: جمع علية وهي الغرفة [الجوهري، ١٣٩٩هـ، ٣٤٣٧].

ضبيب[1] السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته. فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى قد أنتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم إنطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج هذه الليلة حتى أعلم أقتلته ؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاة فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال أبسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها [صحيح البخاري، ، ج ٢ ، ٥٧٧].

لعل أول ما يلفت انتباه الباحث وجود عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بين أفراد هذه المهمة وقد سبق وأن أشرنا إلى قيامه بمهمة قتل سفيان، وهذا يدل على تميز عبد الله بصفات أساسية للقيام بمثل هذه الأعمال وأن نجاحه في المهمات التي أسندت إليه أهلته ليكون ضمن أفراد هذه المهمة ولقد ورد في بعض الروايات بأنه هو الذي قتل سلاماً بن أبي الحقيق [ابن هشام، ٣٧٥].

لقد كان التوقيت الذي وصل فيه أفراد المهمة إلى حصن سلام مناسباً لعدة أعتبارات من أبرزها: صعوبة التعرف عليهم نسبة لحركة دخول الناس إلى الحصن في ذلك الوقت بالذات فإذا رآهم أحد حسبهم من أهل الحصن هذا الى جانب أن في مثل هذا الوقت يسهل التحايل على حارس الباب وهذا ما سهل مهمة دخول عبد الله عندما تحايل وتقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته فظنه الحارس أحد أفراد الحصن فهتف به ليدخل فدخل.

---

(١) مقدمة السيف.

إن التصرف الحكيم الذي قام به عبد الله بعد دخوله الحصن ينم عن ذكاء وفطنة عبد الله التي ظهرت جلياً عندما كمن قريباً من الباب حتى تعرف على الموضع الذي وضع فيه الحارس مفاتيح الحصن، وبالتالي ضمن الخروج فأخذ المفاتيح وفتح بها الباب وتركه مفتوحاً، وفي ذلك احتياط لتأمين الخروج بعد تنفيذ المهمة.

ومن إحكامه للحظة أيضاً انتظاره حتى ذهب السمار عن سلام بن أبي الحقيق فدخل عليه وجعل كلما دخل باباً أغلقه من الداخل، وعلل ذلك بقوله إن علموا بى لم يخلصوا إليّ حتى أقتله. وهذا يُظهر لنا مدى تصميم عبد الله على تنفيد مهمته مع علمه أن إغلاق الأبواب من الداخل يعوق حركته عند الخروج كما يعرضه للخطر الحقيقى في حالة معرفة اليهود به. ولكنه ضرب لنا مثلاً يحتذى به في العمل الفدائي الذي لا يبالي صاحبه بالموت في سبيل تحقيق المهمة الموكلة إليه.

ويتضح لنا حسن تعرفه كذلك حين وصل الى مضجع سلام ولم يعرف مكانه من البيت بسبب الظلام، فما كان منه إلا أن ناداه باسمه فأجابه بقوله من أنت فكان الرد ضربة بالسيف لم تغن شيئاً. وهنا تتجلى حنكة وذكاء عبد الله الذي خرج ثم لبث قليلاً فدخل مرة أخرى وقد غيّر صوته ليحسبه سلام أحد حراسه، وتحقق له ذلك فكانت الضربة القاضية بعد الضربة الثانية حينما وضع مقدمة السيف في بطنه حتى أخرجه من ظهره فعلم أنه قتله ولكنه لم يتيقن من ذلك فجلس بالقرب من الباب ليسهل له الخروج عند تيقنه من الخبر، وعندما تيقن الخبر صاح بأصحابه طالباً منهم سرعة الانصراف.

وعندما انكسرت رجل عبد الله لـم تعقـه عـن الحركـة أو تـرهبـه ، بـل تصرف بحكمة بالغة حين عصبها بعمامته وتحامل على نفسه مع شدة الألـم ضارباً مثلا آخراً في قوة التحمل ، والصبر ، والمعالجة الحكيمة لكل الطوارئ والمستجدات التي تحدث أثناء تأدية المهمات الخاصة .

كما أن هذه العملية تُعد نموذجاً فريداً في التضحية والفداء فابن عتيق اقتحم على سلام بن أبي الحقيق حصنه وقتله في فراشه ووسط أهلـه وفـي حجرة نومه . وأدى هذا بدوره إلى أن يشعر يهود خيبر بالـرعـب والخـوف فقد استطاع المسلمون أن يصلوا إلى أحصن مواقعهم ويقتلوا قـائـدهـم فـي مضجعه .

الفصل الثاني

الجوانب الأمنية في علاقة المجتمع المسلم باليهود

٢ . ١ تصدي الرسول ﷺ لشكوك اليهود فى الإسلام . .

٢ . ٢ موقف الرسول ﷺ من تحريض اليهود ومحاولاتهم لاغتياله .

٢ . ٣ مواجهة الرسول ﷺ لنشاط اليهود العسكري .

٢ . ٤ إنهاء الوجود اليهودي .

الفصل الثاني

الجوانب الأمنية في علاقة المجتمع المسلم باليهود

توطئـــــة

تعددت الأراء حول أصل يهود المدينة والمكان الذي هاجروا منه، والزمان الذي قدموا فيه، ولعل من أقواها مايميل إلى أن بداية نزوحهم من الشام كانت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، عقب نجاح الرومان في السيطرة على مصر وسوريا في القرن الأول قبل الميلاد. وعلى اليهود في القرن الثاني بعد الميلاد. مما أدى باليهود إلى الهجرة نحو شبه الجزيرة العربية التي كانت بعيدة عن سيطرة الرومان.

غير أن هجرة اليهود إلى الحجاز اشتدت بعد فشل التمرد اليهودي ضد الرومان عام ٧٠م. وقد وصل بعض هؤلاء اليهود المهاجرين إلى يثرب كما وصلت مجموعة أخرى إلى يثرب بعد فشل ثورة أخرى قاموا بها في زمن الإمبراطور هادريان بين عامي ١٣٢م - ١٣٥م وشكل هؤلاء اليهود الجالية اليهودية في المدينة والحجاز [علي، ٥١٣ - ٥١٤].

واستقر يهود بني النضير وبني قريظة في حرة واقم شرقي يثرب وهي أخصب بقاعها (الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ٢٨٨). وعرف من أسماء القبائل اليهودية قبل الهجرة بنو قينقاع الذين تختلف الآراء في كونهم عرباً تهودوا، أو أنهم نزحوا مع النازحين إلى الحجاز [العمري، ٥٨].

لم تذكر المصادر إحصاءً لعدد اليهود ولكن ذكرت كتب السيرة أعداد المقاتلين من كل قبيلة في قتالهم وحربهم للرسول ﷺ وهم سبعمائة من بني

قينقاع ومثلهم تقريباً من بني النضير وما بين السبعمائة والتسعمائة من بني قريظة. فالمقاتلون من القبائل الثلاث يزيدون قليلاً على الألفين هذا سوى بقية بطون يهود الأخرى الأقل أهمية والتي تسكن أماكن متناثرة من يثرب [العمري، ٥٩].

ومع أن اليهود كانوا مأمورين باتباع محمد. المسلم باليهود. بنص التوراة ﴿الذي يجدونه مكتوباًعندهم في التوراة﴾ (الأعراف، ١٥٧). إلا أنهم كذبوا وعادوا الرسول ﷺ والمسلمين. قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود..﴾(المائدة، ٨٢).

فما إن وطئت أقدام النبي ﷺ ثرى يثرب حتى ما حاكوا له الدسائس تلو الدسائس، والمكائد عقب المكائد والغدر تلو الغدر. واتخذوا لذلك صوراً شتى وأساليب متنوعة وهذا ماسنحاول الوقوف عليه في هذا الفصل بعون الله.

٢ . ١ تصدي الرسول ﷺ لشكوك اليهود في الإسلام

إن المتتبع للشكوك التي حاول اليهود بثها حول الإسلام يجد أنها متنوعة ومتعددة مما يدل على تركيز حملة التشكيك التي قادوها ضد الإسلام فتارة أنهم يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره وأخرى ينكرون نزول كتاب بعد موسى عليه السلام، وثالثة يثيرون الشكوك المباشرة وغير المباشرة. وسوف نقف في هذا المبحث على بعض تلك الشكوك.

٢ . ١ . ١ التصدي للتشكيك المباشر

لجأ اليهود إلى استعمال أسلوب التشكيك المباشر واتخذوا لذلك عدة صور ربما كان من أبرزها ما يلي:

طلب بعض اليهود من الرسولﷺ أن يعتنق الدين اليهودي قال ابن إسحاق : (وقال عبدالله بن صوريا الأعور الفطيونى لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا مانحن عليه فاتبعنا يامحمد تهتد) [ابن هشام، ٥٤٩]، ويعد ذلك تشكيكاً مباشراً من اليهود وُجه لقائد الدعوة فهم أنكروا صراحة أن يكون الهدى في غير دينهم ولم يكتفوا بذلك بل ذهبوا إلى أبعد منه حين طلبوا من الرسول. أن يتهود. فهذه الجرأة من أحبار اليهود قد تؤثر على بعض الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولكن وضع القرآن بلسماً شافياً لهذا الشك الذي ربما يقع قال تعالى : ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قُل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (البقرة، ١٣٥) فنفي الله الهدى عَن اليهود والنصارى واوضح أن الهدى في اتباع ملة إبراهيم عليه السلام لا في اتباع ملة اليهود والنصارى.

كما أنهم استغلوا حادثة تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة أيما استغلال. قال ابن اسحاق : لما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس، وقروم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع. فقالوا : يامحمد ماولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك [ابن هشام، ٥٥٠] فهذه صورة أخرى من صور التشكيك المباشر فبعد أن طلبوا من الرسول ﷺ اتباع ملتهم ولم يفلحوا في ذلك لجأوا إلى استغلال هذه الحادثة، وحاولوا جاهدين استثمارها في بث الشك في نفس النبي ﷺ، ونفوس المسلمين فطلبوا منه أن يرجع مرة أخرى إلى بيت المقدس فإن فعل ذلك صدقوه، وآمنوا به بعد أن أنكروا عليه تحول القبلة وقالوا إن ذلك يخالف ملة إبراهيم التي ينتمي إليها النبيﷺ. فكأنهم أرادوا من ذلك

تشكيك الرسول ﷺ في صحة تحوله من بيت المقدس وهذا بلاشك أمر خطير وبخاصة أن أمر التحويل أمر إلهي واجب الامتثال.

وكالعادة كان التصدي من قبل المولى عز وجل: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤرف رحيمٌ * قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون * ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ (البقرة، ١٤٣ ـ ١٤٥).

فالآيات الآنفه، قضت تماماً على دابر تلك الفتنه التي أثارها اليهود بقصد التشكيك فأوضحت سبب اتجاه المسلمين إلى بيت المقدس الذي كان بمثابة الاختبار والاستحسان والتمحيص للمسلمين، ثم بينت أن أهل الكتاب يعلمون أن هذا التوجه هو الحق من ربهم، ولكنهم يكابرون ثم أكدت للرسول ﷺ استحالة اتباع اليهود لقبلة المسلمين، ثم نهاه عن اتباع أهواء اليهود وبهذا أزالت الآيات اللبس، ووضحت الحق بما لايدع مجالاً للشك [جوهر، ١٣٥٠هـ، ١٢٩].

ومن الأساليب الماكرة التي استخدمها اليهود في التشكيك المباشر ذلك الحوار الذي تم بين الرسول ﷺ وبعض أحبار اليهود قال ابن إسحاق: (ودخل رسول الله ﷺ بيت المدارس [ابن هشام، ٢٥٢]. على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يامحمد ﷺ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قالا فإن إبراهيم كان يهودياً

فقال لهم رسول الله ﷺ: هلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه) [ابن هشام، ٥٥٢].

لقد حاولوا بث الشك عن طريق المجادلة، والمحاورة فسألوا الرسول ﷺ عن دينه، فأجابهم بأنه على ملة إبراهيم ودينه فاستغلوا هذه الإجابة لبث الشك فقالوا إن إبراهيم كان يهودياً فيصبح مفهوم الكلام أنت إذن يا محمد على دين اليهود. ولكن فطنة وذكاء المصطفى ﷺ فوت عليهم ذلك الادعاء حين طلب منهم أن يأتوا بالتوراة إن كانوا محقين فيما يقولون. فأُسقط في أيديهم فأبيا لعلمهم التام بأن هذا الزعم محض افتراء ولا أساس له من الصحة.

ولعل من أبرز صور التشكيك المباشر ضد الإسلام ما قاله اليهود لمشركي قريش حينما سألوهم عن أيهم على الحق محمد أم قريش قال ابن اسحاق: (قالت لهم قريش يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه) [ابن هشام، ٢١٤]. فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ (النساء، ٥١).

فهذا تشكيك مباشر في الإسلام حيث جعل اليهود الكفار أهدى من المسلمين، وكان عجيباً أن يقول اليهود إن دين المشركين خير من دين محمد ومن معه وإن المشركين أهدى سبيلا من الذين آمنوا بكتاب الله ورسوله ﷺ، ولكن يزول هذا العجيب من اليهود إذا عرفنا طباعهم فهو موقفهم دائماً من الحق والباطل، ومن أهل الحق وأهل الباطل. إنهم ذوو أهواء لاتعتدل، وأطماع لاتنتهي، وأحقاد لاتزول. إنما يجدون العون والنصر عند الباطل وأهله. ومن ثم يشهدون للباطل ضد الحق، ولأهل الباطل ضد أهل الحق

[قطب، ١٤٠٢هـ، ٦٨١]. لذا بقولهم هذا بذروا الشك في قلوب قريش ضد الإسلام.

وهم اليوم يقومون بذات الدور بث الشكوك في الإسلام عبر وسائل الإعلام المختلفة في شخص الجماعات الإسلامية الناجحه. فيسمونها بالتطرف، والأصولية، والإرهابية، ويعينون عليها أهل الباطل لتشويهها، وتحطيمها بالضبط كما كانوا يعينون كفار قريش، ويقولون لهم إنكم على الحق يقولون الآن عبر وسائل الإعلام لحكام المسلمين أنتم أهدى من الأصوليين سبيلا [قطب، ١٤٠٢هـ، ٦٨١].

٢ . ١ . ٢ التشكيك غير المباشر والتصدي له

من الأساليب التي اتبعها اليهود في بث الشكوك حول الإسلام التشكيك غير المباشر، ولعل من أبرز تلك الصور ما قام به بعض اليهود عندما تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه. فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، قالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينه إلى دينهم [ابن هشام، ٧٩، وابن كثير، ٣٦٦].

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ (آل عمران، ٧٢).

فهذا أسلوب غير مباشر يقول عنه سيد قطب: «فإن إظهار الإسلام والرجوع عنه، يوقع بعض ضعاف النفوس والعقول، وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيبعته يوقعهم في بلبلة، واضطراب وبخاصة العرب الأميين

الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف بطبيعة الديانات والكتب فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا أنهم ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيئة ونقص هذا الدين، فتأرجحوا بين اتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال» [قطب، ١٤٠٢هـ، ٤١٥].

إذن فهم لم يشككوا في الإسلام مباشرة بل لجأوا إلى هذا الأسلوب الذي ربما يكون أثره أكبر من الأسلوب المباشر الذي ينتبه له المسلمون، ويعلمون أنه مجرد محاولات من اليهود لردهم عن دينهم فيكون أثر الأسلوب المباشر ضعيفاً مقارنة بغير المباشر [السعدي، ٣٩٢].

ومن صور التشكيك غير المباشر ادعاؤهم أن عزيراً ابن الله قال ابن إسحاق: (وأتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفي، ومحمود بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف. فقالوا له: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لاتزعم أن عزيراً ابن الله) [ابن هشام، ٥٧٠].

فكان التصدي لهذا التشكيك من قبل المولى عز وجل ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (التوبة، ٣٠). فالقرآن هنا قرر وبوضوح أن هذا القول محض افتراء وكذب. أرادوا به التشكيك في صدق وصحة القرآن، ولكن بعد هذه الآية المباركة يزول اللبس الذي يمكن أن يحدثه مثل هذا الزعم [الكلبي، ٧٤].

ومن أساليب التشكيك غير المباشر إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام قال ابن إسحاق: (ودعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم غيرة الله وعقوبته. فأبوا عليه، وكفروا بما جاء به

فقال لهم معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب ـ رضي الله عنهم: اتقوا الله فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حريملة، ووهب بن يهوذا: ماقلنا هذا قط وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل نذيراً ولا بشيراً بعده) [ابن هشام، ٥٦٣].

من سياق الحديث السالف يظهر لنا بوضوح أسلوب التشكيك غير المباشر فهم لم ينكروا نبوة رسول الله ﷺ، ونزول القرآن مباشرة بل لجأوا ألى إنكار ذلك بزعمهم عدم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام، وعدم إرسال رسول أو نذير بعده فهم بذلك يشككون في مصدر القرآن، وأنه غير منزل من عند الله وأن محمداً ﷺ ـ بزعمهم ـ غير مرسل من عند الله أيضاً. ولكن جاء النفي القاطع لهذا الزعم في قوله تعالى: ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ (المائدة، ١٩).

فكان الخطاب صريحاً، وموجها إلى أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ حيث أثبت الرسالة لرسول الله ﷺ، وأثبت نزول القرآن عقب تلك الفترة التي تلت نبوة موسى و عيسى عليهما السلام. وبالتالي يزول ذلك اللبس الذي ربما تحدثه تلك المقالة [لطبري، ١٦٦].

وعندما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، ومن أسلم من يهود معهم. فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه. قالت أحبار يهود ـ أهل الكفر منهم ـ ما آمن بمحمد، ولاتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره [ابن هشام، ٥٥٧].

فهذا أيضاً تشكيك غير مباشر في الإسلام، حيث عدوا الذين دخلوا فيه من شرار اليهود. ففي ذلك إشارة إلى أن هؤلاء لايميزون بين الدين الحق الذي يدعي اليهود أنهم عليه، وبين الإسلام وربما أرادو ا بذلك تحقيق هدفين الأول تشويه صورة من أسلم حتى لا يكون في إسلامهم دفعة قوية للمؤمنين عندما يروا هؤلاء اليهود قد دخلوا في الإسلام. والثاني يتمثل فى تشويه صورتهم لدى عوام اليهود حتى لايحذوا حذوهم.

ولكن كان القرآن بالمرصاد لهذا التشكيك. قال تعالى ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ (آل عمران، ١١٣ ـ ١١٤).

نجد أن القرآن فضل أولئك الذين أسلموا من اليهود على غيرهم وفي نفس الوقت وصفهم بالصلاح الذي يبعد عنهم تهمة اليهود ووصفهم لهم بأنهم من شرارهم، فأثبت القرآن عكس ذلك ففوت الفرصة بذلك على اليهود حيث أبطل مفعول تلك الفرية [البيضاوي، ٨٦].

٢ . ٢ موقف الرسولﷺ من تحريض اليهود ومحاولتهم لاغتياله

إن حياة القائد هدف ثمين يسعى الأعداء للقضاء عليها لذا نجد أن اليهود حاولوا أكثر من مرة اغتيال النبي. وقد خططوا لهذا الأمر وجندوا له من يقوم به. ولا يخفى الأثر البالغ الذي يمكن أن يحدثه اغتيال القائد في صفوف القاعدة وما حدث للمسلمين يوم أحد لخير شاهد على الأثر البالغ الذي تركه خبر إشاعة مقتل الرسولﷺ في نفوس المقاتلين حتى إن بعضهم

وضع السلاح وترك القتال[ابن هشام، ٧٩، وابن كثير، ٣٦]. فإذا كانت هذه مجرد إشاعة فعلت كل ذلك فماذا لو كان الأمر حقيقة وتم الاغتيال فعلا؟

من أجل ذلك، حاول اليهود اغتيال النبيﷺ لإرباك المجتمع المسلم في محاولة منهم لتحقيق مآربهم فمرة تآمروا عليه ليلقوا الصخرة على رأسه، وأخرى قدموا له السم. وفي كلتا الحالتين خططوا لمؤامراتهم وأحكموها ولكن عناية الله حالت بينهم وبين ما يريدون.

٢ . ٢ . ١ محاولة اغتيال الرسول ﷺ بإلقاء الصخرة عليه

خرج رسول اللهﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للعهد الذي كان. أعطاهما، وكان بين بني النضير وبني عامر عهد وحلف. فلما أتاهمﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ وكان رسول اللهﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعداً ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة. فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فنهض سريعاً كأنه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة فلما تأخر النبيﷺ قام أصحابه في طلبه فلقوا رجلاً مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول اللهﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود تنوي من الغدر به [ابن هشام، ١٩٠. وابن كثير، ٧٦].

إن المتتبع لوقائع المؤامرة السالفة يستطيع أن يستخلص منها بعض الجوانب الأمنية والدورس التنظيمية التي يمكن أن يفيد منها المسلمون في حياتهم ولعل أبرز تلك الجوانب ما يلى :

حسن تصرف النبي ﷺ عقب علمه بالمؤامرة

بعد أن علم الرسول ﷺ أمر المؤامرة مضى عائداً إلى المدينة موهماً اليهود أنه ماض لقضاء حاجة حتى لايكون التصرف مفاجئاً، فيثير انتباههم إلى كشف مخططهم وهدفهم، ولحق به الصحابة رضي الله عنهم دون أن يعرف اليهود شيئاً عن الأمر [الغضبان، ٢٨٩] . فهذا التصرف قمة في الحكمة والحنكة الأمنية فلو أعلن الرسول ﷺ عن الخبر ساعته لأصحابه ربما مالوا بسيوفهم على من قام بهذا العمل، مما قد يترتب عليه معركة داخل معاقل اليهود. وهو أمر يجب استبعاده لأن الذين كانوا مع النبي ﷺ قلة لا يتجاوزون أصابع اليد [ابن كثير، ٧٦] فإذا ماوقع القتال تكون المعركة غير متكافئة مع اليهود. كما أن اليهود يمكن أن يستغلوا أي قتال من المسلمين داخل حصونهم، ويعتبروه نقضاً للعهد الذي بينهم وبين المسلمين. فيحاولوا رمي المسلمين بنقض العهد الذي نقضوه هم بمؤامرتهم تلك وتفاديًا لتلك الاحتمالات وغيرها تحرك الرسول ﷺ صوب المدينة دون أن يشعر أحد من المسلمين أو اليهود بسبب مغادرته مكانه ذاك.

فلقد علمنا قائدنا ﷺ سرية التخطيط، وسرعة البديهة من خلال هذا التظاهر بقضاء الحاجة، حارماً بذلك اليهود من فرصة انتهاز عودته لقتله، تماماً كما فعل مع الكفار ليلة الهجرة عندما ترك علياً على فراشه موهماً الكفار بأنه رسول الله ﷺ في الوقت الذي خرج فيه النبي ﷺ وصاحبه من

مكة والتحقا بالغار، فقد وصل المدينة واليهود ينتظرون عودته لقتله. وهذا درس ينبغي الوقوف عنده طويلا للاستفادة منه في حياتنا الدعوية [الغضبان، ٢٩٠].

وربما يسأل سائل لماذا لم يكن الصحابة (رضي الله عنهم) المرافقون للرسول ﷺ شديدي المراقبة لمكر اليهود فقد فاتهم تسلق اليهودي للجدار، ومعه الصخرة ليلقيها على رسول الله ﷺ؟ ونحسب أن الإجابة تكمن في أنهم كانوا مطمئنين تماماً لحفظ الله لرسوله خاصة بعد نزول الآية: ﴿والله يعصمك من النّاس﴾ (المائدة، ٦٧) وفعلا عصمه الله من مكر اليهود وأطلعه على غدرهم. ولكن ليست العصمة متوفرة الآن لقادة الدعوة، الأمر الذي يحتم على المسلمين الملاحظة الدائمة واليقظة المستمرة في سبيل حماية قادة الدعوة من محاولات الأعداء التي تستهدف حياتهم.

٢ . ٢ . ٢ محاولة اليهود اغتيال الرسول ﷺ بالسم

لم يكتف اليهود بالمحاولة الآنفة، بل فكروا في محاولة آثمة أخرى كانت تستهدف حياة رسول الله ﷺ. فسلكوا وسيلة أخرى، مغايرة للأولى فدسوا السم للنبي ﷺ بطريقة تنم عن المكر والدهاء، والخبث في آن واحد حيث خطط لها بدقة متناهية تبين مدى احتراف هؤلاء القوم للغدر والخيانة وسفك الدماء.

بعد أن تحقق للرسول. فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت قبل أن تقدمه له عن أى اللحم أحب إليه. فعلمت أنه الذراع فسمتها ـ الشاة ـ فأكثرت السم في الذراع ثم جاءت بها إلى رسول الله ﷺ فقال ما هذه؟ قالت: هدية فتناول الذراع

فلاك منها مضغة فلم يسغها فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم.

فجمع اليهود ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه. قالوا: نعم. قال: أجعلتم في هذه الشاة سماً. قالوا: نعم ثم دعا بالمرأة فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان كاذباً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيخبر. فتجاوز عنها. وكان معه بشر بن البراء بن معرور أخذ منها أكلة فأساغها فمات منها [ابن القيم، ١٣٤٧هـ، ١٣٩]، واحتجم النبيﷺ على كاهله من أجل الذي أكله من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة [ابن حجر، ٤٩٧].

من وقائع المحاولة السالفة يمكن للباحث الخروج بعدة جوانب أمنية تضمنتها تلك المؤامرة وقد يكون من أبرزها:

خبث اليهودية في محاولة دس السم

لقد ظهر خبث اليهودية في عدة مواطن فقد علمت أن الرسولﷺ يقبل الهدية، ويرفض الصدقة فقدمت الشاة على أنها هدية ولم تقدمها على أنها صدقة لتضمن قبول النبي ﷺ للشاة. كما أنها اختارت أشد أنواع السموم فتكاً بالإنسان فقد عمدت إلى سم لابطي(*) بعد أن أشار عليها اليهود به فأجمعوا على هذاالسم بعينه [الواقدي، ٦٧٨]. وأكثرت من السم في الذراع بعد عن علمت أنها أحب أجزاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، مبالغة منها في الاحتياط لإنجاح عملية الاغتيالب، ولكن فات عليها أن الله خير

(*) لابطي: اسم سم الموت السريع.

الماكرين، فأخبر الذراع ـ بقدرة الله تعالى ـ النبيﷺ بأنه مسموم ففشلت المحاولة بالرغم من حبكها .

الحكمة من تصرف النبي ﷺ

عقب أن علم النبي ﷺ بحقيقة الأمر استدعى اليهود بما فيهم المرأة التي أهدته الشاة، وأخذ منهم الإقرار بالإقدام على تلك الجريمة، ووضح لهم أن العظم أخبره بأمرهم، ولم يعاقبهم، في ذلك تصرف أمني غاية في الحكمة فلعله أراد أن يوضح لهم تلك المعجزة التي أكرمه الله تعالى بها بمخاطبة اللحم له. هذا إلى جانب إظهار سماحة الإسلام في عفوه عنهم فربما أثر ذلك في بعضهم فدخل في الإسلام، وربما أحجم من كان يفكر في محاولة اغتيال أخرى مخافة أن يكشف الوحي أمره، كما كشف الذراع أمر اليهودية .

استخدام الطبيب الخاص

لقد احتجم النبي ﷺ بعد الحادثة مباشرة فكأن الرسول ﷺ كان يصطحب معه ذلك الطبيب لمثل هذه المستجدات، فكان العلاج الفوري للداء أثر السم. وفي ذلك درس للدعاة وبخاصة القادة منهم، بحيث يجب أن يكون معهم طبيب خاص يقوم بمرافقتهم، ويتفقد ما يقدم لهم من طعام، وشراب ليتأكد من خلوه من السموم، أو الجراثيم، ويقوم بالعلاج الفوري إذا ما طرأ على صحة القائد طارىء تماماً كما فعل أبو هند رضي الله عنه .

وقد فطن أعداء الدعوة إلى هذا الجانب فلكل زعيم منهم طبيبه الخاص الذي يلازمه في حله وترحاله، كما أن لديهم الخبرة الكافية بجميع أنواع

السموم والدواء الناجع لكل نوع منها، ويحتفظون بهذه الأدوية للحالات الطارئة [رايت، ١٤٠٨هـ، ٣٦٠].

درس أمني هام

لعل من أهم الدروس التي يمكن الاستفادة منها من هذه المحاولة الحفاظ على عادات وطبائع قادة الدعوة. فلا تكون كتاباً مفتوحاً للأعداء يعلمون ما لا يعلمه المسلمون عن بعضم البعض. فغالباً ما تتم عملية الاغتيال بعد دراسة وافية عن عادات وطبائع الشخص المراد اغتياله. وبناء على المعلومات الواردة عن تلك الدراسة توضع خطة الاغتيال تماماً مثلما فعلت تلك اليهودية عندما علمت أن النبي ﷺ يقبل الهدية، ويرفض الصدقة، ويحب الذراع دون غيره من أجزاء الشاة. لذا يجب أن تكون جميع طبائع وعادات القادة من الأمة، بعيدة عن الأعداء.

ويجب على المسلين إن سئلوا عن أي معلومات عن قادتهم، ألا يخبروا عنها مهما كانت صغيرة، وحقيرة، وخصوصاً إذا كان السائل من أعداء الدعوة. كما ينبغي على وسائل الإعلام متمثلة في أشخاص القائمين عليها ينبغي عليهم تجنب نشر المعلومات التفصيلية عن قادة الأمة. فلا تذكر مثلا أوقات نومهم، وأين، وكيف يقضون أوقات فراغهم، وماهي وجباتهم المفضلة. . الخ. فإن نشر مثل هذه المعلومات عبر وسائل الإعلام يعُد خطراً على حياة قادة الأمة، ومعلوم أن وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية إحدى الروافد التي تستقي منها مخابرات الأعداء المعلومات عن المسلمين (توملي، ١٤٠٤هـ، ٢٥٥].

٢ . ٢ . ٣ موقف الرسول ﷺ من تحريض اليهود

٢ . ٢ . ٣ . ١ تجسس اليهود

قام اليهود بالتجسس على الإسلام والمسلمين أكثر من مرة في المدينة. فعندما قدم أبو سفيان على المدينة طالباً ثأره من المسلمين في قتلى بدر دخل على أحد اليهود ليلاً، فآواه وقدم له المعلومات الكافية التي ساعدته على نجاح مهمته، يقول بن حبان: (ودق أبو سفيان على سلام بن مشكم ففتح له فقراه، وسقاه خمراً، وأخبره بأخبار النبي ﷺ وأخبار المدينة) [ابن حبان، ١٤٠٧هـ، ٢١١].

وترتب على هذه المعلومات التي أعطاها سلام لابي سفيان ترتب عليها مقتل اثنين من المسلمين وحرق بعض البيوت والنخيل في ضواحي المدينة) [ابن هشام، ٤٥]. ولولا تلك المعلومات المقدمة من اليهود، لما تمكن أبو سفيان من النجاح في مهمته تلك، مما يظهر لنا وبوضوح ضلوع اليهود في هذه الجريمة التي راح ضحيتها اثنان من المسلمين. كذلك قيام اليهود بالتجسس، وبصورة جلية في غزوة خيبر. وذلك عندما بعث من تبقى من اليهود بالمدينة جاسوساً إلى خيبر يحمل لهم خبر تحرك الجيش المسلم نحوهم، وعدته وعتاده. قال الواقدى (وإن يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة قد قدم بسلعة يبيعها فبعثوه إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونهم بقلة المسلمين وقلة خيلهم، وسلاحهم، ويقولون لهم اصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم فإنه لم يلق قوماً يحسنون القتال وقريش والعرب قد سروا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم) [الواقدي، ٦٤١].

فهذا تجسس واضح على الجيش المسلم يكشف أخطر المعلومات عن عدته وعتاده، وهو أمر بالغ الخطورة على الجيش المسلم حيث أصبح أمره مكشوفاً لدى الأعداء، ولا يخفى ما في ذلك من خطر يتهدد الجيش المسلم. فالجيوش دائماً تحاول جاهدة إخفاء معلوماتها العسكرية من حيث العدة والعتاد عن عيون الأعداء، وتعمل بكل وسعها على كتمان أمر تحركاتها عن عدوها. فكشف مثل هذه المعلومات غالباً ما يعرض الجيوش للهزيمة.

لم يكتف يهود المدينة بتسريب تلك المعلومات عن الجيش المسلم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأخذوا في العمل على رفع الروح المعنوية ليهود خيبر بوصفهم بالقوة والمنعة، والحصون العالية المنيعة، وأخبروهم بوقوف العرب معهم، وفرحهم بمسير محمد. إلى خيبر ليلقى هزيمته على أيديهم. فكل ذلك يرفع من الروح المعنوية لليهود الأمر الذي ينعكس إيجاباً على أداء اليهود في معركتهم ضد المسلمين. ولكن قبض المسلمين على الجاسوس أفسد كيد اليهود.

٢ . ٢ . ٣ . ٢ إثارة الفتن القديمة

ومن مؤامراتهم على الإسلام كذلك، إثارتهم للفتن والأحقاد القديمة بين المسلمين، وبخاصة بين الأوس والخزرج. قال ابن إسحاق (مرّ شاس بن قيس على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من إلفتهم، وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: اجتمع ملأمن بني قيلة بهذه البلاد والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. فأمر فتى شابا من يهود كان معهم فقال: اعمد إليهم فأجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وماكان قبله وأنشدهم بعض ماكانوا يقولون

فيه من الأشعار. ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، فتقاولا ثم قال أحدهم لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة - الحرة - السلاح السلاح، فخرجو إليها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يامعشر المسلين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً) [ابن هشام، ٥٥٥ - ٥٥٦].

إن إثارة الفتنة في هذه القصة واضحة لا تحتاج إلى كبير إيضاح، ولقد عرف اليهودي شاس كيف يستغل حوادث الماضى في تحريك بواعث الشر في نفوس الأوس والخزرج. حيث أمر الفتى اليهودي أن يذكر يوم بعاث(*). ثم أمر الشاب أن ينشدهم بعض الأشعار التي قالوها ذاك اليوم ومعلوم أثر الشعر فى نفوس العرب. وبخاصة في تلك الحقبة من الزمان، وفعلا قد حرك ذاك الشعر بواعث الحمية الجاهلية، وبدأ التفاخر بين الطرفين واحتدم حتى انتهى إلى التواعد على الحروب. وكادت أن تقع الحرب بين الطرفين ولكن كان لتدخل النبي ﷺ في الوقت المناسب واستخدامه للأسلوب العاطفي مع الأوس والخزرج وتذكيرهم بنعمة الإسلام، ونهيهم عن دعوى الجاهلية، كان له الأثر البالغ على نفوس المسلمين من الأوس

(*) كان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً، [ابن هشام ٥٥٥-٥٥٦].

والخزرج . فقد استطاع وبحكمة بالغة نزع فتيل الحرب بين الطرفين وأبطل مفعول مؤامرة اليهود وفوت عليهم الفرصة فعادت المياه إلى مجاريها وبكى القوم وتعانقوا وعادوا أقوى مما كانوا عليه قبل هذه الفتنه . وكان الله وحده يعلم ما يحدث لو اندلع القتال بين الأوس والخزرج من تفكك وتصدع للصف المسلم الواحد وما يمكن أن ينجم عن تلك الحرب من آثار على الإسلام والمسلمين .

ومما يؤكد أن اليهود يعملون وبتنظيم معد ومسبق على إحداث الفرقة بين الحيين من الأنصار ما قاله شاس : (والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار) . إذن فهم يعملون على الوقيعة بين الطرفين ليتحقق لهم البقاء في المدينة ومن أجل تحقيق ذلك كانوا يحفظون أشعار حروبهم الماضية ليشعلوا بها نار الحقد من أجل قيام حرب أخرى فذلك الشاب كان يحفظ تلك الأشعار لهدف معلوم ، وقد استخدمها في الوقت المناسب ، فكان لها أثرها البالغ كما أسلفنا .

وهذا الذي فعله شاس بن قيس يفعله أحفاده الآن بالمسلمين الذين يجب عليهم أن يجتنبوا كيدهم ودسائسهم ، وأن يأخذوا درساً من هذه الحادثة فلا يدعوا لأعدائهم فرصة التفريق بين وحدتهم وإخوتهم في الدين [ميلمان ، ٢٧] .

٣ . ٢ . ٣ . ٣ إيواء اليهود المنافقين وأمرهم لبعض الأنصار بالبخل

إيواء المنافقين

كانت العلاقة بين اليهود والمنافقين قوية ، وسبق أن تحدثنا عنها في الفصل السابق . ومن منطلق هذه العلاقة القوية بلغ بأحد اليهود الحد أن

جعل منزله مقراً للمنافقين يجتمعون فيه لأجل الكيد للإسلام والمسلمين. قال ابن إسحاق (إن نأساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي لتفريق الناس عن الرسول ﷺ [ابن هشام، ٥١٧].

إن اتخاذ سويلم اليهودي بيته مأوىً ومقراً للمنافقين يعد تآمراً على الدولة المسلمة، إذ يقوم المنافقون من هذا البيت بأنشطة مضادة للدولة المسلمة. ووجود هذا البيت في ديار اليهود يجعله ذا خطورة كبيرة لأنه ينطلق من مكان يصعب مراقبته من قبل المسلمين وبالتالي يكون أثره كبيراً، وهداماً. لذا أمر الرسول ﷺ بهدمه.

أمر اليهود لبعض الأنصار بالبخل ودرء خطره

إنه أسلوب آخر لجأ إليه اليهود في تأمرهم على المسلمين، فقد طلبوا من بعض الانصار عدم الإنفاق في سبيل الله. قال ابن إسحاق: (وكان كردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنما نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون) [ابن هشام، ٥٦٠]. ربما أراد اليهود بهذا لقول تحقيق عدة مآرب لعل من أبرزها: ممارسة الحرب الاقتصادية على الدولة المسلمة الناشئة، وذلك بحثهم للأنصار على عدم الإنفاق، ومعلوم أن الدولة المسلمة بعد الله تعالى، كانت تعتمد فى المقام الأول على الأنصار، وبخاصة أن معظم المهاجرين تركوا أموالهم بمكة. هذا إلى جانب جهلهم بالزراعة التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية فى المدينة.

فكان هدف اليهود من منع بعض الأنصار عن الإنفاق أن يضعفوا الجانب الاقتصادى للدولة المسلمة الناشئة، مماقد يترتب عليه نتائج سلبية على المجتمع المسلم آنذاك.

كما أنهم رموا بذلك إلى بث الشك فى قلوب الأنصار ليميلوا إلى البخل، وعدم الإنفاق فى سبيل الله، فيضعف إيمانهم بذلك، الأمر الذى يسهل على اليهود فيما بعد إخراج أولئك من حظيرة الإسلام. أضف إلي ذلك محاولتهم تشكيك الأنصار فى الإسلام وذلك بقولهم: فأنكم لا تدرون علام يكون. يفهم من هذا القول تشكيك واضح في إمكانية استمرار الإسلام كمنهج رباني خالد.

فكل تلك الاحتمالات كان اليهود يطمعون فى تحقيقها أو على الأقل تحقيق بعضها غير أن محاولاتهم تلك باءت بالفشل وتلاشت أمام الإيمان الصلب للأنصار وأمام توجيه القرآن الذى يتتبع مؤامرات اليهود، ويكشفها بمجرد حبكها، وقبل ظهور أثرها الخبيث. فقد رد الله تعالى كيدهم بقوله: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ (النساء، ٣٧).

٢ . ٣ مواجهة الرسول. لنشاط اليهود العسكري

بعد أن فشل اليهود في حملات التشكيك، ومكائدهم المتنوعة، ومحاولاتهم الفاشلة لاغتيال الرسول ﷺ. لجأوا إلى أسلوب آخر تمثل في النشاط العسكري الذى اتخذ عدة صور، وسلك عدة أساليب في محاولة منهم للنيل من الإسلام، والمسلمين، واسترداد ما فقدوه من مكانة، وكرامة بسبب غدرهم، وخيانتهم، وسنحاول في هذا المبحث الوقوف على جانب

من تلك الصور والأساليب التي سلكها اليهود في نشاطهم العسكري ضد الإسلام والمسلمين.

٢ . ٣ . ١ دور اليهود في غزوة الأحزاب

لعب اليهود دوراً بارزاً ورئسياً في غزوة الأحزاب بل هم أول من أشعل الشرارة الأولى فيها. فهم الذين حرضوا الأحزاب على غزو المدينة قال ابن إسحاق: (إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير، بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على الرسول ﷺفخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب الرسول ﷺ وقالوا إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه. فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن) [ابن هشام، ٢١٤، وابن كثير، ٩٦].

إن المتأمل في هذا الدور الذي قام به اليهود في تجميع الأحزاب يجد أنه كان مبنياً على درجة عالية من التخطيط والإحكام حتى حملوا قريشاً وغطفان حملاً على محاربة الرسول ﷺ سواء كان ذلك الحمل عن طريق الإغراء المعنوي كما فعلوا مع قريش أو المادي كما فعلوا مع غطفان. وبهذا الدور

يرجع نجاحهم في التحريض لهذه الحرب إلى استخدام واستغلال الجانب الأمني في التخطيط لها. وهذا ما يتضح لنا من خلال التحليل التالي:

لقد جربت قريش الحرب مع النبي ﷺ، واكتوت بنارها، فصارت تتهيبها، ولم تكن تفكر - على الأقل في تلك الظروف - في حرب محمد ﷺ، بل أصبحت في موضع شك كبير من صحة موقفها من الدعوة الإسلامية، وباتت في حيرة من أمرها بدليل أنها سألت اليهود عن صحة موقفها من محمد وأيهم على الحق محمد ﷺ أم قريش.

ولكن ظهر مكر اليهود جلياً عندما قالوا لقريش أنتم أهدى من محمد فكان لهذا القول الأثر البالغ في دفع قريش نحو الاستجابة لطلب اليهود وحرب محمد ﷺ فنشطت لذلك وأجمعت وأعدت نفسها للخروج، وبهذه الخدعة تمكن اليهود من تحقيق هدفهم المتمثل في إقناع قريش بحرب المسلمين. وبالإضافة لخدعة اليهود نجد أن قولهم لقريش إنا نكون معكم كان له أثره الإيجابي أيضاً في حمل قريش على الحرب.

بعد أن تحصل وفد اليهود على موافقة قريش ذهب إلى غطفان لما لها من ثقل وسط القبائل العربية آنذاك وقد استخدم اليهود الإغراء المادي والمعنوي في حمل غطفان على الموافقة على الخروج لحرب المسلمين. تمثل الإغراء المادي في دفع اليهود تمر نخل خيبر لمدة عام لقبائل غطفان [الندوي، ١٤٠١هـ، ٢٠٧] وهذا يعد إغراءً ضخماً فثمار خيبر لمدة عام ليست بالشيء القليل ويعد التمر من الثروات الهامة لدى العرب في الجزيرة العربية - وإلى يومنا هذا - لهذا كان لإغراء اليهود الأثر الكبير على حمل غطفان على الحرب.

بينما تمثل الإغراء المعنوي في موافقة قريش على الخروج لحرب محمد ﷺ ووجود قريش في هذا التجمع أمر له أثره المعنوي الكبير على حمل

غطفان بجانب الإغراء المادي الضخم. وهكذا نجح اليهود في ضم غطفان إليهم بفضل التخطيط الدقيق والإغراء المادي والمعنوي الذى قاموا به.

نجاح وفد اليهود في إقناع يهود بني قريظة

لم يكتف وفد اليهود بتأليب القبائل خارج المدينة على المسلمين بل لجأ زعيمهم حيي بن أخطب إلى ضم بني قريظة الذين يربطهم عهد وميثاق مع النبي ﷺ إلى الأحزاب. وقد تحقق لهم ذلك، ونقض بنو قريظة العهد وانضموا إلى الأحزاب [ابن هشام، ٢٢٠].

وقام اليهود من بني قريظة بالتسلل إلى المدينة فعلاً قال ابن إسحاق: (كانت صفية بنت عبد المطلب في حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان قالت: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت مابينها وبين رسول الله ﷺوليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا قالت: فقلت ياحسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شُغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فأقتله قال: يغفر الله لك ياابنة المطلب. والله لقد عرفت ما إنا بصاحب هذا، قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت(*) ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته [ابن هشام، ٢٢٨]، يظهر أن هذا اليهودي كان دورية استطلاع للحصول على المعلومات عن مواضع النساء والأطفال، حتى يقوم اليهود على ضوئها بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسير الحماية لهم ليضطر المسلمون إلى الانسحاب من مواقعهم الأصلية لنجدة أهليهم، وإنقاذ أموالهم.

(*) احتجزت: شددت وسطها.

كما يظهر لنا من النص السابق عظم العمل الذى قامت به صفية رضي الله عنها وعندما أدركت خطورة طواف اليهودي حول الحصن، ومايمكن أن يترتب على تلك من نتائج سيئة، فحسها الأمني وفراستها جعلتها تشك في أن يكون عيناً لليهود بادرت إليه وعالجته بضربة نجلاء أردته قتيلاً.

وبقتله تخلص المسلمون من خطر داهم إذ جعل اليهود يعتقدون أن داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين وليس من السهل التخلص من هذه الحراسة الشديدة لذلك قبع اليهود في حصونهم لا يفكرون في الخروج عقب مقتل عينهم الذى بعثوه، وهذا درس من صفية رضي الله عنها لحفيداتها إلى يوم القيامة فمتى ما رأت المرأة المسلمة خطراً يتهدد أعراض وعورات المسلمين في مثل هذه الظروف، فعليها أن تقوم بعمل ما حيال هذا الموقف وتتصرف التصرف السليم في الوقت المناسب كما تصرفت صفية رضي الله عنها.

٢ . ٣ . ٢ النشاط العسكري في غزوة خيبر

عقب الدور الخطير الذى قام به وفد يهود خيبر في غزوة الأحزاب كان لابد من أن تتجه أبصار المسلمين صوب حصون خيبر معقل اليهود ولعل توصل الرسول ﷺ إلى الاتفاق الذى يضع الحرب بينه وبين قريش عشر سنوات(*) جعله يفكر جدياً في غزوة خيبر، وربما اختارها دون سواها للأسباب الآتية:

أولاً: ثأره من يهود خيبر لما فعلوه من تحريض قريش، وغطفان على محاربة المسلمين، ويكون بذلك قد اجتث معقلاً يصدر عنه التآمر على المسلمين والإسلام.

(*) راجع: مبحث المواجب الأمنية في المعاهدات.

ثانياً: لقد كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى الطوائف بأساً، وأوفرها ما لاً وسلاحاً ولم يكن هناك أي أمل في أن يعتنقوا الدين الإسلامى بعد ما أثبتت التجارب السابقة مع يهود يثرب قلة من أسلم منهم. ولما كان الغرض الذى يرمي إليه النبي ﷺ إنما هو جمع أهل الجزيرة العربية على دين واحد وتأليف كتلة متحدة تحمل أعباء نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية فقد كان حتماً عليه في هذه الحالة أن يقضي على يهود خيبر حتى لا يمثلوا حجر عثرة في سبيل تحقيق ذلك الهدف.

ثالثاً: لم يجد النبي ﷺ قوة تقف في سبيل دينه سوى قوتين اثنتين قوة قريش، وقوة اليهود. لذلك وضع نصب عينيه القضاء على هاتين القوتين ليخلو له الجو، ويتمكن من نشر الإسلام، وقد توصل إلى صلح مع قريش لوقف القتال بينه وبينها فحاول استغلال هذه السانحة للقضاء على اليهود أما بقية القبائل الحجازية فلم تكن من القوة والخطورة بمثل ما كان لقريش واليهود.

ولقد تخللت هذه الغزوة بعض الجوانب الأمنية والتي من أبرزها:

٢ . ٣ . ٢ . ١ اتخاذ دليلين

اتخذ الرسول ﷺ دليلين من قبيلة أشجع ليستعين بهما في معرفة الطريق المؤدية إلى خيبر [الواقدي، ٦٣٩]. وكان لذلك مسوغاته الأمنية، فاتخاذ الدليلين يجنب الجيش المسلم أن يضل الطريق الأمر الذى يفوت على الجيش المسلم عنصر مباغتته للعدو وهو عنصر هام من عناصر النصر. كما أن الدليل يكون عالماً بآمن وأقصر الطرق إلى خيبر وهذا يقلل الزمن الذى يستغرقه المسير إلى خيبر مما يساعد على سرية تحرك الجيش المسلم

وحرمان عيون الأعداء من رصده وهذا ماحدث فعلاً فلم يعلم اليهود بالجيش المسلم حتى خرجوا في الصباح إلى حقولهم. حينها فقط رأوا المسلمين على تخوم خيبر فقالوا محمد والخميس [الواقدي، ٦٤٢]. معه فأدبروا هرباً [ابن هشام، ٢٣٠]. مما يؤكد جهلهم التام بتحركات جيش المسلمين.

٢. ٣. ٢. ٢ يهود المدينة يمارسون الحرب النفسية ضد الجيش المسلم

عندما نوى المسلمون الخروج إلى خيبر طالب من تبقى من اليهود بديونهم لدى المسلمين وقال أحد المسلمين لليهودي: يا أبا الشحم إنا نخرج إلى ريف الحجاز فيه الطعام والأموال. فقال أبو الشحم تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة الآف مقاتل قال الصحابي أي عدو الله تخوفنا بعدونا وأنت في ذمتنا وجوارنا؟ والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ [الواقدي، ٦٣٤].

واضح أن هذا اليهودي حاول إلقاء الرعب في صفوف المسلمين بتهويله من عدد اليهود وقوتهم ومثل هذا القول والناس تتأهب للخروج له أثره على معنويات الجيش فقد تنعكس سلباً على أدائه القتالي. وأراد بها ذلك اليهودي حرباً نفسية ولكن فطنة الصحابي الجليل رضي الله عنه جعلته يدرك ما يرمي إليه اليهودي ورد عليه من فوره رداً قوياً مما أبطل مفعول تلك الكلمات ولم يكتف بالرد بل رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ. قائد الجيش فتجاهل الرسول الله ﷺ الأمر ومن ذلك التجاهل تظهر حكمة الرسول ﷺ فلو نادى على اليهودي وعاقبه لانتشر قوله وسط المدينة، وعلم الجميع بما قاله اليهودي الأمر الذى يوسع دائرة الحديث مما يترتب عليه بعض الضرر وبخاصة إذا استغله المنافقون. ولكن تجاهل النبي ﷺ جعله محصوراً في نطاق ضيق محدد.

٢ . ٣ . ٢ . ٣ إلقاء القبض على جاسوس يهودي

بعث رسول الله ﷺ عباد بن بشر في فوارس، طليعة فأخذ عيناً لليهود من أشجع فقال من أنت؟ قال باغ أبتغى أبعرة ضلت لي إننا على أثرها قال له عباد ألك علم بخيبر ؟ قال عهدي بها حديث فيم تسأل عنه ؟ قال: عن اليهود قال نعم، كان كنانة ابن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة فجاءوا معدين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر ودخلوا معهم في حصونهم ما أرى لأحد بهم طاقة. فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات وقال: ما أنت إلا عين لهم أصدقنى والإضربت عنقك فقال الأعرابى: افتؤمني على أن أصدقك ؟ قال عباد: نعم فقال الأعرابي. القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود. . . فقال لي كنانة أذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك، وأحرزهم لنا، وأدنو منهم كالسائل لهم ماتقوى به ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فإنهم لن يدعوا سؤالك وعجل الرجعة إلينا بخبرهم [الواقدي، ٦٤١].

تضمنت الحادثة السالفة عدة جوانب أمنية لعل من أبرزها:

التضليل

استخدم الجاسوس اليهودي أسلوب التضليل عندما سأله عباد عن هويته فزعم أنه صاحب ضالة يبحث عنها وقصد بذلك إخفاء شخصه ومهمته حتى يبعد عنه الشبهة ويكسب ثقة عباد الأمر الذى يساعده في إتمام مهمته. وفعل نفس الشيء في إجابته لسؤال عباد عن اليهود فقد كان رد الجاسوس بأنه حديث عهد بها ولعله قصد من ذلك أن يبين لعباد أن معلوماته عن خيبر حديثة، وهو ما يريده الجيش المسلم، وربما قال لهم ذلك كي

يأخذوا حديثه مأخذ الجد، وبالتالي يتمكن من تضليل المسلين بمعلومات مكذوبة القصد منها إضعاف الروح المعنوية، وإلقاء الرعب في قلوب المسلين من اليهود.

بعد ذلك دخل الجاسوس في صميم مهمته فأخذ يظهر عدة وعتاد اليهود. فبين أن عددهم عشرة آلاف، وحصونهم لاتُرام، وتحدث عن كثرة طعامهم وشرابهم، ودخول غطفان معهم حصونهم، إلى أن قال: ما أرى لأحد بهم طاقة.

فهذه المعلومات الغزيرة دفعة واحدة كان المراد بها التهويل من شأن اليهود، وإحداث الرهبة، والرعب في نفوس المسلمين من عدوهم فلو تحقق لليهود ذلك لكان كسباً كبيراً لهم إذا تلاقى جيشاً منهار القوى المعنوية فيسهل عليها الانتصار عليه.

سرعة التعرف على حقيقة الجاسوس

بذكاء حاد استطاع عبَّاد رضي الله عنه أن يدرك أن هذا الرجل عينٌ لليهود، ولعل المعلومات الغزيرة، والتهويل من أمر اليهود، جعل عباداً يشك في أمر الرجل، وبعد ضربه بالسوط، وتهديده بالقتل أقر الرجل بأنه عين لليهود وبين أنه مكلف بمهمة التخذيل والتخويف وأخبرهم أيضاً عن الحالة النفسية السيئة لليهود، وبسببه حصل المسلمون على معلومات في غاية من الأهمية. وبإلقاء القبض عليه خسر اليهود جاسوساً كانوا يعتمدون عليه في الحصول على المعلومات عن الجيش المسلم.

إن حسن تصرف عباد رضي الله عنه، واستغلاله الجيد لجاسوس العدو حتى حصل منه على كل تلك المعلومات إن دل على شيء فإنما يدل على

حسن اختيار الرسول ﷺ لأفراد تلك الطليعة وعلى رأسهم قائدهم عباد رضي الله عنه .

٢ . ٤ إنهاء الوجود اليهودي بالمدينة

لم يلتزم اليهود ببنود الاتفاقية التي وقعوها مع النبي ﷺ ، بل نقضوها ، وغدروا بالمسلمين ، فكانت سمة الغدر والخيانة ملازمة للقبائل اليهودية الثلاث ، مما ترتب عليه إنهاء الوجود اليهودي بالمدينة فأخرجت بنو قينقاع ثم تلتها بنو النضير و أخيراً بنو قريظة . وبذلك أمن المسلمون شرهم .

٢ . ٤ . ١ غدر بني قينقاع وطردهم من المدينة

قال ابن إسحاق : (إن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا مابينهم وبين الرسول ﷺ وحاربوا فيما بين بدر و أحد) [ابن هشام ، ٤٨] . وكان هذا النقض على مرحلتين كانت الأولى عندما جمعهم النبي ﷺ بسوقهم ، ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة و أسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يامحمد إنك ترى إنا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

يحمل رد اليهود على النبي ﷺ تهديداً واضحاً بالحرب ولكن مع ذلك كظم النبي ﷺ غيظه ، وصبر وصبر المسلمون ، وأخذوا ينتظرون ما تتمخض عنه الليالي . وازداد بنو قينقاع جرأة فقلما لبثوا أن أثاروا في المدينة قلقاً ، واضطراباً ، وسعوا إلى حتفهم بظلمهم وسدوا على أنفسهم أبواب الحياة داخل المدينة .

تلى ذلك المرحلة الثانية، وذلك حينما قدمت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع، جلست إلى صائغ بها فجعل اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوؤتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فأستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم، وبين بني قينقاع [ابن هشام، ٤٨].

لم يكن مقتل المسلم أمراً فردياً فلقد كان تمالؤاً عاماً من اليهود وإعلاناً بنبذ العهد منهم. فلو كان حادثاً فردياً لأمكن معالجته، وقتل القاتل لكن الملأ من يهود هم الذين اجترؤوا، وقتلوا فأنزل الله تعالى ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فأنب إليهم علي سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ (الأنفال، ٥٨) فقال رسول الله ﷺهم بنو قينقاع فسار إليهم يوم السبت النصف من شوال بعد بدر ببضعة وعشرين يوماً [الخضري، ١٣٣]. وفهم رسول الله ﷺ الحرب من الآية فقال: أنا أخاف بني قينقاع. إذن فاحتمال الغدر قائم كل لحظة ولئن سكت المسلمون على هذه الجريمة فربما فهم من هذا أنهم ضعاف، وبالتالي فهم معرضون للغزو كل لحظة، ولهذا لم يكن هناك خيار من المعركة، وإن كان لا بد من ذلك فليكن المسلمون هم البادئون. لقد نبذ إليهم رسول الله ﷺ. وفي تحرك سريع خاطف كان اليهود محاصرين في بيوتهم وحصونهم وعقب الحصار نزل المنافقون ـ الذي سبق وأن أشرنا إليه في الفصل السابق (مبحث المنافقين) ـ حمل الرسول ﷺ على تخفيف الحكم عليهم، واكتفى بإجلائهم عن المدينة.

وهكذا تم إجلاء بني قينقاع عن المدينة وانتهى وجودهم فيها، وأخذ المسلمون بعد خروجهم سلاحهم وأموالهم. وهكذا تم القضاء على عدو

لدود كان يشكل خطراً كبيراً على المسلمين، وكان خروجهم هذا بمنزلة إنذار مبكر لبقية قبائل يهود من بني النضير وبني قريظة.

٢ . ٤ . ٢ غدر بني النضير وإجلاؤهم عن المدينة

لقد سبق وأن أشرنا إلى غدر يهود بني النضير عند تعرضنا لمحاولة اليهود اغتيال الرسول ﷺ، وفصلنا القول في تلك المؤامرة في المبحث الثالث من هذا الفصل.

عقب فشل تلك المؤامرة بعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى بني النضير ليبلغهم أمره، فقال: إن رسول الله يقول لكم اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه. فلم يجد اليهود مناصاً من الخروج فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل لولا اتصال رأس النفاق بهم الذى جعلهم يغيرون رأيهم فكان ردهم (إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع مابدا لك).

بعد هذا التحول في موقف يهود بني النضير حاصرهم الرسول ﷺ عدة أيام حتى كان الاتفاق بين الطرفين والقاضى بخروج بني النضير من المدينة ولهم ما حملت الإبل إلا السلاح [ابن كثير، ٧٧]. لقد جرت أثنا الحصار عدة حوادث هامة لعل من أبرزها:

كان بعض اليهود يرمون النبل على مقر القيادة التي كان يقيم فيها الرسول ﷺ، وكان قائد النباله عزوك اليهودى فكمن له على رضي الله عنه وقتله. وكان هدفهم إغتيال النبي ﷺ، وكان معه عشرة من اليهود تعقبهم أبو دجانة في جماعة من الصحابة فقتلوهم عن بكرة أبيهم، وأتوا برؤوسهم فطرحت في الآبار [المقريزي، ١٩٤١م، ١٨٠]. وكان لذلك الأثر الكبير في رفع الروح المعنوية للمسلمين.

وهو درس أمني ينبغي الوقوف عنده، إذ يجب على المسلمين بث الرعب في صفوف العدو من خلال العمليات الفدائية الناجحة فلم يجرؤ اليهود بعد ذلك على مغادرة حصونهم ورمي نبالهم لأنهم علموا أن أرواحهم غدت في خطر بعد ذبح رجالهم العشرة [الغضبان، ٢٩١].

ومن الأحداث الهامة في الحصار التعرض لنخيل يهود بني النضير بالقطع، والحرق بغية إرغام اليهود، وحملهم على الاستسلام، فراحوا يطلبون إيقاف ذلك بالرجاء تارة، والدهاء أخرى حين قالوا: يامحمد ألست تزعم إنك نبي تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخل، وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم [الشوكاني، ١٩٦]. فكفوا عن القطع، والحريق وانبعثت فتنة جديدة تثير الشغب لهذا الحريق، تشكك في تصرف القيادة حين بدأ القطع وحين كفوا عنه. ولكن أكد القرآن صحة التصرفين وأعاد مكر اليهود، ومخططهم إلى جحره. قال تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين﴾ (الحشر، ٥). فلا بد أن يهاجم اليهود في أعز ما يملكون حتي يستبسلموا، لذا كان هذا التصرف سليماً وماضياً بإذن الله [الغضبان، ٢٩١].

فبعد الاتفاق آنف الذكر تم إجلاء بني النضير عن المدينة، وانتهى وجود الكيان الثانى من اليهود، وكفى الله النبي ﷺ مكرهم، وأصبحت الجبهة الداخلية في مأمن من المكر الذى كان يصدر عن بني النضير، وذلك بالتخطيط السليم، والاحتياط الأمني الذي التزمه الرسول ﷺ في تعامله مع اليهود حتى أخرجهم من المدينة.

٢ . ٤ . ٣ خيانة بني قريظة وقضاء الله فيهم

توالى الغدر من يهود المدينة، القبيلة تلو الأخرى فكانت الخيانة الكبرى هى التي بدرت من بني قريظة، وهي بحق خيانة عظمى إذا ماقورنت بخيانة بني قينقاع وبني النضير، لأنها جاءت في أحلك الظروف، وأصعبها بالنسبة للمسلمين الذين أصبحوا وسط حصار من كل الجوانب. ولم يحسبوا حساب أن يؤتوا من داخل المدينة من قبل اليهود، وظنوا أن اليهود وعوا الدرس ممن سبقهم، ولكن طبيعة اليهود الغادرة غلبت عليهم فنقضوا العهد.

قال ابن إسحاق (خرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعباً بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة، وعهدهم وكان قد وادع الرسول ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب بحييّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فأستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي ياكعب افتح لي، قال: ويحكك إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً. قال: ويحك افتح لي أكلمك. قال: ما إننا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا عم جشيشتك[1] أن أكل معك منها فأحفظ [ابن هشام، ٢٢٠] الرجل ففتح له فقال: ويحكم يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش علي قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد. قد عاهدوني وعاقدوني على أن لايبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتنى والله بذل الدهر وبجهام[2] قد هراق ماءه فهو يرعد، ويبرق

---

(١) الجشيشة: طعام يصنع من البريطحن غليظاً. [ابن هشام، ٢٢٠].

(٢) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه [ابن هشام، ٢٢١].

ليس فيه شيء، ويحك ياحيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء.

فلن يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب[1] حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ والخبر وإلى المسلمين. بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة وقد كان سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة، أخو بني الحارث، وغيرهم فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فأجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم في أخبث ما بلغهم ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر أصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين) [ابن هشام، ٢٢٢].

من الوقائع السالفة نستطيع الوقوف على بعض الجوانب الأمنية التي تبين كيف تمت خيانة اليهود من بني قريظة:

تحايل ابن أخطب في الدخول

لقد تحايل ابن أخطب على كعب زعيم بني قريظة بعد أن أغلق دونه باب الحصن، ورفض أن يفتحه له لعلمه بما يريده حيي وظهر ذلك من قوله:

---

(١) المراد المواوضة والمخاتلة.

إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً وأصر على موقفه وأمام هذا الإصرار على الرفض لم يجد حيي بداً من التحايل عليه فحاول استثارته بأن زعم أن سبب إغلاق الباب هو البخل، وأن كعباً لم يفتح له مخافة أن يأكل معه في جشيشته ونجحت الحيلة فغضب كعب، وفتح الباب لحيي فدخل الحصن.

ابن أخطب يحمل كعباً على نقض العهد مع رسول الله ﷺ

عقب دخول حيي الحصن أخذ يمني كعباً، ويعده بالعز والنصر على محمد و استئصاله، وقد أعد لذلك عدته من قريش، وغطفان بعد أن أخذ عليهم العهد ومع هذا الإغراء تردد كعب ولكنه رضخ في النهاية أمام إصرار ابن أخطب وعهده الذي أعطاه له من أن يدخل معه في الحصن في حالة مغادرة قريش وغطفان دون استئصال محمد. فبعد هذا الوعد وافق كعب على نقض العهد فتم لابن أخطب ما أراد.

تأكد المسلمين من نقض اليهود للعهد

حينما تلقى الرسول ﷺ خبر نقض يهود بني قريظة العهد بعث بعض الصحابة للتحري من صدق الخبر أو كذبه. وهذا تصرف أمني ضروري، فالرسول ﷺ سمع بالخبر فقط دون أن يتأكد منه فقد يكون حقاً، أو باطلاً، وأمر هام كهذا لا يمكن البت فيه قبل التحقق منه، فربما كان الأمر، إشاعة أطلقها المنافقون بغرض إحداث بلبلة في الصف المسلم. أو يكون الخبر حقاً، وحينها يمكن للرسول ﷺ أن يتخذ الموقف المناسب في كلتا الحالتين.

ويظهر لنا الحس الأمني العالي للرسول ﷺ من قوله: فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء

الذي بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . فإن كان الأمر حقاً فاجهروا به أمام الناس ، فقد يترتب عليه ضرر كبير ، فيفت في عضد الناس مما يكون له الأثر الواضح على معنويات المسلمين . فمنعاً لذلك قال لهم الحنوا لي لحناً . أما إذا كان الخبر كذباً فقد أمرهم أن يجهروا به للناس فذلك يشد من عضد الناس ، ويرفع روحهم المعنوية ، ويقطع دابر تلك الإشاعة من جذورها .

كما يظهر لنا الحس الأمني لأصحابه الذين أرسلهم ليتحققوا من الخبر فعندما تأكدوا منه كانت الإجابة بقولهم عضل والقارة . ففهم الرسول ﷺحقيقة الأمر فاختاروا هذه العبارة التي لا يعلم فحواها إلا الرسول ﷺ والوفد . وهذا ما أراده الرسول ﷺ .

موقف المسلمين من غدر بني قريظة

لم تمر على المسلين ظروف أسوأ من ظروف الأحزاب ، وما كان العهد مع اليهود إلا لمثل ذلك إليوم . ومع هذا نقض بنو قريظة عهدهم في اللحظة الحاسمة ، ورغم وجود بوادر الخير لدى زعيمهم كعب إلا أنه في النهاية تنصل عن عهده مع الرسول ﷺ وتهيأ لمقاتلته رغم إقراره بوفاء النبي ﷺ وصدقه .

وكانت نهاية الأحزاب سريعة فرغم تجمعهم في المدينة إلا أن الله أرسل عليهم ريحاً قوية أقضت مضجعهم ، وخذل نعيم بن مسعود بينهم فتفرقوا ، وتشتتوا . ورجعت الأحزاب ، وكان الحصار الذى أشرنا إليه آنفاً . ثم تلا ذلك الحكم الذى أوكل أمره إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقضى فيهم بأن يقتل الرجال ، وتسبى النساء ، والذراري وتقسم الأموال [ابن هشام ، ٢٣٩] .

وبتنفيذ هذا الحكم في بني قريظة انتهى الوجود اليهودي في المدينة المنورة ، واستراح المسلمون من شرورهم وغدرهم ، وخيانتهم ودسائسهم .

وباتت الجبهة الداخلية في أمان بعد أن تخلصت من أكبر خطر كان يتهددها داخل المدينة .

٢ . ٤ . ٤ الدروس المستفادة

لاينبغى أن تمر تجارب الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم مع اليهود دون أن يستفيد منها المسلمون لمستقبل، وحاضر تعاملهم، وعلاقاتهم مع اليهود. لذا كان لابد من الوقوف على تلك التجارب الثرة التي خاضها الرسول ﷺ وصحبه منذ دخوله المدينة، وحتى إجلاء اليهود عنها . كما مر معنا في هذا الفصل ولعل من أبرز تلك المواقف .

٢ . ٤ . ٤ . ١ هفوة أبي لبابة رضي الله عنه

عندما أرسل الرسول ﷺ أبا لبابة رضي الله عنه إلى بني قريظة بناءً على طلبهم كي يستشيرونه في أمرهم فعندما رأى الأطفال والنساء رق لهم، مما جعله يشير بما سيفعله بهم وهو القتل، ولكن سرعان ما أدرك أن ذلك من أسرار المسلمين فعاقب نفسه بنفسه حين ربطها على سارية المسجد [ابن هشام، ٢٣٦].

الدرس الذي يمكن أن نفيده من هذه الواقعة ضرورة التحكم في العاطفة، والحكم على الأمور بالعقل المجرد عنها، وبخاصة في القضايا العامة التي تتعلق بمصير الأمة ومصلحتها . والدرس الآخر هو أهمية الرجوع والأوبة إذا غفل المسلم أو هفا، وما فعله أبو لبابة قمة في الأوبة والرجوع إلى الحق ولزومه .

٢ . ٤ . ٤ . ٢ تعلم اللغات

يعد تعلم لغة العدو من أهم ما يجب أن يتعلمه رجل الأمن وبدونها يصبح ناقصاً في مؤهلاته الأمنية. فهي الواسطة التي يتلقى عن طريقها المعلومة، ويحللها، ويقرأ بها عن العدو، ويستمع لوسائل إعلامه. وكل ذلك يساعده في جمع المعلومات الضرورية عن العدو

كما أن تعلم اللغة يساعد المسلمين في توجيه وسائل إعلامهم إلى العدو بغية خدمة أهداف الأمة، وبث الرعب في نفوسهم من أجل إضعاف روحهم المعنوية كما يحدث في الإذاعات الموجهة. أضف إلى ذلك أن تعلم لغة العدو يساعد المسلمين في ترجمة الأفكار الإسلامية وبثها وسط الأعداء. كما يمكننا تعلم اللغة من الاطلاع على الشبهات التي تثار حول الإسلام ثم الرد عليها، وتفنيدها في الوقت المناسب. هذا إلى جانب تسهيل الاطلاع على كتب الأعداء الدينية من داخلها وأخذ ما يؤيد الإسلام منها لنجاحهم به.

ونظراً للأهمية البالغة لتعلم لغة العدو أمر الرسول ﷺ أحد أصحابه أن يتعلم لغة اليهود. قال ابن حبان: أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود وقال إني لا آمن أن يبدلوا كتابي. فتعلم زيد بن ثابت ذلك في خمسة عشر يوماً) [ابن حبان، ١٤٠٧هـ، ٢٣٩].

من هذا الأمر النبوي يجب أن نأخذ الدرس، ونتعلم لغة اليهود. فإذا كان النبي ﷺ لا يأمن جانب اليهود ومكرهم والوحي يؤيده، ويكشف له مؤامراتهم فكيف بالمسلمين الآن وقد انقطع الوحي؟

ينبغي على الأمة المسلمة، وهي تناصب اليهود العداء أن يتعلم بعضنا لغة اليهود. والمطلع اليوم على واقع المسلمين يجد أن من يجيد العبرية

نادر في الوقت الذى يجيد فيه اليهود عامة اللغة العربية ويفتحون لها المدارس ويعقدون لها الدورات [ميلمان، ١٢٧] بل ويوجهون إذاعتهم إلى الدول العربية والإسلامية بلغة المسلمين في الوقت الذى لا تجد فيه سوى قلة من الإذاعات الإسلامية أو العربية توجه بالعبرية إلى اليهود.

إن لغة اليهود (العبرية) هى التي تضمنت ماضيهم وكتبت بها توراتهم الحالية المحرفة ولا سبيل للاطلاع الشامل على ماضيهم، وتوراتهم إلا بمعرفة اللغة العبرية المعاصرة التي يقول اليهود عنها: «ما دمنا سنظل يهوداً، ومادمنا سننادي بأن التوراة كتابنا. يجب أن نقدس اللغة التي كتبت بها تقديساً لا حد له. واللغة العبرية هي الخزائن التي أودعنا فيها نفيسنا من حياة إسرائيل الروحية» [جريدة المساء السودانية، العدد ١١ ، ٢٣/ ٢/ ١٤١٤هـ، ص ٦].

٢ . ٤ . ٤ . ٣ أهمية اليقظة من مكر اليهود

إن موقف اليهود من الإسلام والمسلمين واضح وعداؤهم له تارة سافر وأخرى خفي. وقد مرّ معنا عداؤهم للإسلام منذ أيامه الاولى، فالذى ألب الأحزاب على الدولة المسلمة الناشيءة في المدينة وجمع اليهود من بني قريظة وغيرهم من قريش في مكة وبين القبائل الأخرى يهودي. والذي حاول إلقاء الصخرة على رسول الله ﷺ يهودي، والتي دست السم لرسول الله ﷺ يهودية.

والذي ألّب العوام، وجمع الشراذم، وأطلق الشائعات في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه يهودي. والذى قاد حملة الوضع والكذب على أحاديث رسول الله ﷺ يهودي. والذى كان وراء النعرات القومية في دولة الخلافة

العثمانية الأخيرة ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدل الدستور بها في عهد السلطان عبد الحميد ثم انتهت بالغاء الخلافة على يد اتاتورك، يهودي) [قطب، ١٤٠٢هـ، ٩٦١].

وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامى في كل مكان على وجه الأرض وراءه يهود ثم كان وراء النزعة المادية الإلحادية يهودي، ووراء النزعة الحيوانية الجنسية يهودي، ووراء النظرية الماركسية يهودي[١].

ولم يكن ليحدث كل ذلك لولا غفلة المسلمين التامة عما يجري من حولهم من قبل اليهود. فلم تكن هناك أجهزة أمنية فعالة تتابع تلك المؤامرات فتقضي عليها في مهدها، قبل أن يستفحل أمرها كما كان يحدث في عهد النبوة حيث حجم الخطر اليهودي، وحوصر حتى تم القضاء عليه. بينما استفحل أمرهم في غفلة منا، وبتنا نلقي باللائمة عليهم بدل أن نرجع ذلك إلى إخفاقنا، وتقاعسنا الأمني، والتنظيمي الذي أتاح لهم هذا الفراغ فأحدثوا كل تلك الجرائم.

وحاضر المسلمين اليوم لا بد من حرب مع اليهود عاجلاً، أم آجلاً. ولهذا فإن التعرف على التخطيط اليهودي الماكر يفيد المسلمين كثيراً في هذه المعركة. فلا بد إذاً من تنبه المسلمين إلى أهمية متابعة اليهود، وخططهم للنيل من المسلمين. وأول خطوات التفوق عليهم معرفتهم معرفة كاملة لتتسنى بعد ذلك محاربتهم على هدى وبصيرة.

---

(١) للتوسع يمكن مراجعة فصل اليهود الثلاثة ماركس وفرويد ودوركايم في كتاب التطور والثبات محمد قطب.

الفصل الثالث

الجوانب الأمنية في غزوات النبي ﷺ

٣ . ١ الحصول على المعلومات العسكرية عن طريق الاستطلاع .

٣ . ٢ الحصول على المعلومة من جواسيس الأعداء والموالين للمسلمين .

٣ . ٣ المهمات الخاصة أثناء الغزوات . .

٣ . ٤ أهمية التدابير الأمنية في نجاح الغزوات .

٣ . ٥ أمن قيادة الدعوة أثناء الغزوات .

الفصل الثالث

الجوانب الأمنية في غزوات النبي ﷺ

توطئـــــة

لما كان لابد لدولة الإسلام الوليدة من منازلة أهل البغي والعدوان وأن هذه المنازلة تحتاج إلى تخطيط وتدبير وإعداد وجمع للمعلومات عن تحركات العدو والوقوف على عدته وعتاده، كان على قيادة الدعوة الإسلامية أن تراعي الجوانب الأمنية اللازمة. وهذا ما قام به النبي ﷺ حيث وضع ترتيبات أمنية دقيقة وكان يرصد جل تحركات أعدائه داخل المدينة وخارجها وقد ظهر ذلك جلياً في غزواته. وقد كان لهذه الترتيبات الأثر الملموس في تفوق الرسول. على أعدائه في جل غزواته.

سوف نحاول الوقوف على هذه الجوانب من خلال تناولنا لهذا الفصل وسنحاول التركيز على جانب الاستخبارات والحصول على المعلومات والطرق التي اتبعها النبي. في ذلك مع محاولة استخلاص الدروس والعبر لواقع الدعوة في عصرنا الحاضر.

٣ . ١ الحصول على المعلومات العسكرية عن طريق الاستطلاع

٣ . ١ . ١ الاستطلاع في غزوة بدر

٣ . ١ . ١ . ١ قيامه عليه الصلاة والسلام بالاستطلاع بنفسه

لقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الاستطلاع في غزوة بدر وقام بنفسه وتحصل على معلومات ثرة عن جيش مكة قال ابن إسحاق: (حتى، وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش و عن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم

فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما فقال رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك قال: أذاك بذاك ؟ قال نعم قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ وصحبه. وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ نحن من ماء ثم انصرف عنه قال يقول الشيخ: (ما من ماء أمن ماء العراق) [ابن هشام، ٦١٦]. إن المتأمل في عملية الاستطلاع الآنفة يستطيع الخروج بالجوانب الأمنية الآتية:

إخفاء الشخصية

لقد أخفى النبي ﷺ شخصيته عن الشيخ بسؤاله عن قريش ومحمد وأصحابه فحسب الشيخ أن السائل طرف ثالث لا هو من قريش، ولا هو من أصحاب محمد وهذا أمر هام في الحصول على المعلومات، فإذا علم الشيخ حقيقة أمر السائل ربما كانت النتائج على غير ما آلت إليه. وربما كان ذلك الشيخ عيناً لقريش فينقل تلك المعلومة إلى قريش مما يكون له أثره على مجريات الأمور ساعتها فلو سأل رسول الله ﷺ الشيخ عن قريش وحسب، فربما استنتج الشيخ أن سائله من جهة محمد وأصحابه. ولكن بهذا الأسلوب العام غطى الرسو ل على هويته، ولم يدع للشيخ فرصة لمعرفتها [مجلة الحرس الوطني، السنةالثانية، العدد ٥، ص ٨٩]. .

استدارج الشيخ للحصول على المعلومة

حينما رفض الشيخ الإجابة عن سؤال النبي ﷺ واشترط للإجابة أن

يعلم حقيقة سائليه لم ييأس رسول الله ﷺ من الحصول على إجابة من الشيخ بل استدرجه الرسول . بذكاء وحول الشرط عليه هو . فقال إن أخبرتنا أخبرناك ؟ فطلب من الشيخ أن يخبره أولا . فتحقق للرسول ﷺ ما أراد، وتحصل على مكان الجيش المكي، وهي معلومة في غاية الأهمية بالنسبة للجيش المسلم الذي أصبح على بينة من مكان وجود عدوه .

استخدام التورية

عندما أراد النبي . الإجابة عن سؤ ال الشيخ استخدم أسلوب التورية فاخبره بأنهم من ماء . ولعل النبي ﷺ كان يريد الإشارة إلى أصل خلقهم من الماء ـ المني، وحسبها الشيخ موضعاً في العراق فهذا تصرف أمني في غاية الحكمة فبعد أن حصل النبي ﷺ على المعلومة التي يريدها، لم يعط الشيخ أي معلومة يمكن أن يستفيد منها العدو إذا ما أدركوا الشيخ .

وقال له الرسول ﷺمن ماء ولم يذكر له أي جهة، فربما فعل ذلك مخافة أن يذكر له منطقة ما في الجزيرة العربية تكون هي ذات منطقة الشيخ، أو يعرف بعض أهلها، وهنا يدرك الشيخ أن النبي ﷺ يكذب عليه، فيشك في أمره، مما قد تترتب عليه آثار سلبية . أو ربما حاول الرسول ﷺ بقدر الإمكان تجنب الكذب الصراح مادام في الأمر متسع فلجأ إلى التورية على الرغم من إباحة الكذب في مثل هذا الموضع .

سرعة الانصراف

نلاحظ أن النبي ﷺ انصرف بسرعة عقب الإجابة عن سؤال الشيخ . وفي ذلك تصرف أمني سليم فلو مكث مع الشيخ ربما يسأله مرة أخرى عن موضع ماء، وبخاصة أن الإجابة أشكلت على الشيخ عقب مغادرة النبي

ﷺ فجعل يقول: ما من ماء أمن ماء العراق؟ وحينها قد يتعقد الأمر أكثر.

كما أن إطالة الوقوف مع الشيخ تؤدي إلى تأكد الشيخ من معالم وملامح النبي ﷺ، وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وبخاصة فهو رجل بهذا الذكاء والدراية التامة بالمنطقة، والتحليل السليم للتحركات، فإذا لقيه عين أو طليعة من قريش وسألوه عن أوصاف من لقيه لاستطاع أن يصفهما وصفاً دقيقاً يجعل العدو لايشك أنهما ـ محمدﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه ـ وحتى يفوت النبي ﷺ ذاك الاحتمال عجل بالانصراف.

٣ . ١ . ١ . ٢ بعثه عليه الصلاة والسلام بالعيون لجمع المعلومات

سنورد هنا موقفين يتعلقان بغزوة بدر فقد بعث الرسول ﷺ قبل بداية معركة بدر باثنين من الصحابة يتجسسان عن أخبار قريش قال ابن إسحاق: (وكان بسبس بن عمرو(*) وعدي بن أبي الزغباء(**) قد مضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر، وهما يتلازمان[1] على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً، أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي صدقت، ثم خلص بينهما. وسمع عدي وبسبس، فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا [ابن هشام، ٦١٧] بعد أن سمع بسبس

(*) بسبسة بن حرشة بن زيد بن عمر حليف بني طريق من الخزرج [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٢٨٨].

(**) عدي بن أبي الزغباء هو سنان بن سمية بن ثعلبة حليف بني النجار توفي في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٤٧٤].

(١) التلازم: تعلق الغريم بغريمه ـ أي الدائن بمدينه.

وعدي رضي الله عنهما الحوار الذي بين الجاريتين وتأكدوا من أن العير ستأتي ماء بدر غداً. فهي معلومة هامة جداً سيفيد منها المسلمون. لذا تحركوا بعد سماعهم لها مباشرة إلى معسكر المسلمين حاملين تلك المعلومة إلى رسول الله ﷺ.

وخبر الطليعة الأخرى التي أرسلها رسول الله ﷺ يقصه ابن إسحاق فيما يلي: (ثم رجع رسول الله. إلى أصحابه فلما أمسى بعث علياً بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعداً بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما[2] قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ، وسجد سجدتيه ثم سلم فقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش. أخبراني عن قريش؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال: لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالا: كثير قال: ماعدتهم قالا: لاندري. قال كم ينحرون كل يوم؟ قالا يوماً تسعاً، ويوماً عشراً. فقال رسول الله. فيما بين التسعمائة والألف ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن

---

(١) راوية: الإبل التي عليها الماء [ابن هشام، ٦١٦].

(٢) أذلقوها: بالغوا في ضربهما [ابن هشام، ٦١٦].

خويلد، والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه إبنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها) [ابن هشام، ٦١٦-٦١٧]. لقد أفلحت هذه الطليعة في قبضها على سقاة قريش. فهؤلاء هم رأس الخيط الذي يقود إلى معرفة مايدور في معسكر قريش. وبعد إحضارهما تم استجوابهما من قبل بعض الصحابة رضي الله عنهم، وصدقوا في إجابتهما الأولى بأنهم سقاة قريش ولكن طمع المستجوبون أن يكون هؤلاء سقاة العير فكان الضرب، والتعذيب للسقاة مما نتج عنه الكذب. فزعم الغلامان أنهما سقاة أبي سفيان. وهذا درس ينبغى أن يستفيد منه المسلمون. فيجب أن يتم الاستجواب بعيداً عن الأحكام المسبقة التي ربما تغير مجرى التحقيق، وتفضي إلى معلومات كاذبة، يكون ضررها أكبر من نفعها. ولولا الأستجواب الثاني الذي أجراه الرسول ﷺ مع الغلامين لاعتقد المسلمون أنهما فعلا سقاة العير. والحقيقة بخلاف ذلك.

فطنة النبي ﷺ وتحليله السليم لمعلومات الغلامين

فعقب انتهاء الرسول ﷺ من الصلاة تولى بنفسه عملية الاستجواب مع الغلامين بعد أن أدرك بفراسته النافذه أن الغلامين صدقا في إجابتهما الأولى، وكذبا في الثانية. فسألهم عن مكان الجيش المكي فأخبراه به ثم سأل عن عدد الجيش فعجزا فلجأ الرسول ﷺ إلى سؤال آخر يمكن عن طريقة معرفة عدد الجيش على وجه التقريب، فسألهما عن عدد الجزور التي ينحرونها في اليوم فاخبراه أنها يوماً تكون تسعاً. وآخر عشراً. وبذكاء وحنكة خلص الرسول ﷺ إلى عدد الجيش فقال: القوم بين التسعمائة

والألف. وبلاشك تعد هذه المعلومة في غاية الأهمية لجيش المسلمين الذي أصبح على بينة من أمر عدوه. ومن الاستجواب تحصل الرسول. على نوعية المقاتلين في الجيش المعادي فعلم أن المقاتلين أشداء أقوياء. وبناء على ذلك يمكن تحديد الخطة المناسبة ووضع الاحتياط اللازم حتى لا يفأجا الجيش المسلم بقوة وشراسة خصمه الذي تضمن عدداً كبيراً من قادة قريش، وعليه يكون الجيش المسلم قد حصل بهذا الاستجواب على أهم المعلومات عن الجيش المعادي فعلم نوعية المقاتلين ومكان معسكره (العدوة القصوى) وعدده (وهو مابين التسعمائة والألف). فلم يبق أمامه آنذاك سوى وضع الخطة المناسبة لمواجهة جيش بهذه العدة والعتاد.

٣. ١. ٢ الاستطلاع في بعض الغزوات الأخرى

اتخذ الاستطلاع في باقي غزوات الرسول ﷺ صوراً متعددة فتارة يأتيه الخبر فيبعث للتأكد منه كما في غزوة بني المصطلق حيث بعث بريدة بن الحصن الأسلمي رضي الله عنه للتأكد له من خبر جمع بني المصطلق لحرب الرسول ﷺ فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار سيد بن المصطلق وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٩].

على الرغم من أن ابن سعد لم يورد ما دار بين بريدة رضي الله عنه والحارث إلا أن سياق القصة يوضح أن بريدة ربما جاء متنكراً حتى تمكن من الالتقاء بسيد القوم، وتحدث معه عن جمعه ووجهته وتأكد من أنه ينوي غزو المدينة فعلاً.

وتصرف النبي ﷺ هذا دون شك تصرف أمني سليم فالخبر الذي جاء إلى النبي. لم يكن مؤكداً وإلا لما أرسل بريدة فربما كان إشاعة، فأحب أن

يتاكد حتى لا يأخذ الناس بالظنون، والشبهات، وفي ذات الوقت لا يشغل جيشه من غير أن يكون هناك خطر محقق. من أجل ذلك، بعث طليعته بريده ليتقصى عن الخبر.

وتارة أخرى كان يبعث. طليعة أمامه لتدخل وسط العدو كي تحصل له على المعلومات عنه. كما حدث في غزوة الحديبية حينما بعث الرسول ﷺ بسر بن سفيان رضي الله عنه(*) من ذي الحليفة عيناً له فقال له: إن قريشاً قد بلغها أني أريد العمرة فخبّر لي خبرهم ثم ألقني بما يكون منهم فتقدم بسر أمامه ودخل مكة فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فلقيه بغدير ذات الأشطاط من وراء غطفان فلما رآه النبي. قال يا بسر ما وراءك؟ قال: يارسول الله تركت قومك كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، قد سمعوا بمسيرك ففزعوا، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة، وقد استنفروا لك الأحابيش من أطاعهم معهم العوذ المطافيل(**)، قد لبسوا لك جلود النمور ليصدوك عن المسجد الحرام، وقد خرجوا إلى بلدح، وضربوا بها الأبنية، وتركت عمادهم يطعمون الجزور أحابيشهم ومن ضوى إليهم في دورهم وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد في مائتي فارس، وهذه خيلهم بالغميم، وقد وضعوا العيون على الجبال والأرصاد [الواقدي، ٥٧٣، ٥٧٩، ٥٨٠].

يتضح لنا من سياق الحديث السابق مدى أهمية المعلومات التي جاء بها طليعة الرسول ﷺ مايشير إلى أنه بذل جهداً كبيراً في الحصول على المعلومات والتي تمثلت في:

(*) بسر بن سفيان بن عمر بن عويمر الخزاعي كان شريفاً في قومه أسلم عام ٦ هـ من الذين شهدوا الحديبية [ابن الأثير، ١٣٨٥هـ، ٢٦١].

(**) العوذ المطافيل: العوذ هي التي ولدت والمطافيل جمع مطفل وهي التي لها طفل.

١ ـ نقل الحالة النفسية لأهل مكة، والتي يعمها الفزع والرهبة.
٢ ـ انضمام الأحابيش ومن معهم للجيش المكي.
٣ ـ عزم جيش العدو على صد النبي. وصحبه عن المسجد الحرام.
٤ ـ موضع معسكر و تجمع قوات العدو (بلدح).
٥ ـ الطليعة المقاتلة من الفرسان: قائدها وعدد أفرادها وموضع وجودها.
٦ ـ بث الجواسيس ومواضع وجودهم.

إن مثل هذه المعلومات في غاية الأهمية بالنسبة للجيش المسلم وعلى تلك المعلومات حدد الرسول ﷺ موقفه، ورتب أموره بما يتماشى مع هذه الظروف، ويحقق له التفوق على عدوه وهذا ما تم فعلاً فبمجرد سماعه. لهذه المعلومات قام فخطب في الجيش المسلم قائلاً: «أما بعد فكيف ترون يامعشر المسلمين في هؤلاء الذين استنفروا إلى من أطاعهم ليصدونا عن المسجد الحرام؟ أترون أن نمضي لوجهنا إلى البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ أم ترون نخلف هؤ لاء الذين استنفروا لنا إلى أهليهم فنصيبهم؟ فإن اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله، وإن قعدوا قعدوا محزونين موتورين [الواقدي، ٥٨].

إذن فالرسول ﷺ حدد موقفه وحصر مهمته في خيارين اثنين وطرحهما للمشاورة ولولا تلك المعلومات التي تحصل عليها من بسر رضي الله عنه لما تمكن من ذلك. أضف إلى ذلك أن الجيش المسلم قد وضح له الموقف وحساسيته وخطورته.

وأحيانا كان الرسول ﷺ يحصل على المعلومة عن طريق السؤال لبعض القادمين عليه وقد حدث ذلك في سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى الجناب

وذلك لما قدم حسيل بن نويرة(*) إلى المدينة فسأله الرسول ﷺ قائلاً من أين ياحسيل ؟ قال: تركت جمعاً من غطفان بالجناب قد بعث إليهم عيينة يقول لهم: إما أن تسيروا إلينا وإما نسير إليكم فأرسلوا إليه أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعاً وهم يريدونك أو بعض أطرافك [الواقدي، ٧٢٨]. يظهر من سياق الخبر أن الرسول ﷺ ربما أرسل حسيلا عيناً أو طليعة له وسط قبائل العرب من غير تحديد منطقة بعينها.

وبناء على هذه المعلومة التي أوردها حسيل عن جمع غطفان بعث الرسول ﷺ سرية من ثلاثمائة رجل وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا في النهار حتى يفاجئوا قوات العدو ويباغتوها في عقر دارها، وخرج معهم حسيل بن نويرة دليلاً . وقد تم القضاء على ذلك التجمع وتفرق أهله وكفى الله المؤمنين شرهم وكل ذلك يرجع - بعد توفيق الله - إلى المعلومات التي تحصل عليها النبي ﷺ بسؤاله لحسيل رضي الله عنه.

٣ . ٢ الحصول على المعلومة من جواسيس الأعداء والموالين للمسلمين

وقع بعض جواسيس الأعداء في أيدي المسلمين وقد حصل المسلمون على معلومات من بعضهم كانت في غاية الأهمية مما جعلها تؤثر كثيراً في تحقيق بعض أهداف الجيش المسلم كما أنه كانت هناك أطراف موالية للمسلمين وسط الأعداء تنقل إليهم أخبار وتحركات الأعداء. وهذا مما سنحاول الوقوف عنده في هذا المبحث.

٣ . ٢ . ١ القبض على جاسوس من هوازن

عندما تخطى الرسول منطقة العرج متجها صوب مكة في غزوة الفتح تقدمت أمامه طليعة فلما كان بين العرج والطلوب جاءوا بعين من هوازن

إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله رأيناه حين طلع علينا وهو على راحلته فتغيب عنا في وهدة[1] ثم جاء فاوفي على نشز[2] فقعد عليه فركضنا إليه فأراد أن يهرب منا، وإذا بعيره قد عقله أسفل من النشز وهو يغيبه فقلنا: ممن أنت؟ قال رجل من بني غفار فقلنا هم أهل هذا البلد. فقلنا من أي بني غفار أنت؟ فعيى[3] ولم ينفذ لنا سبباً فازددنا به ريبة وأسانا به الظن فقلنا: فأين أهلك؟ قال: قريباً وأوما بيده إلى ناحية قلنا على أي ماء ومن معك هناك؟ فلم ينفذ لنا شيئاً، فلما رأينا ما خلط قلنا: لتصدقنا، أو لنضربن عنقك قال: فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم؟ قلنا: نعم: قال فإني رجل من هوازن من بني نضر بعثتني هوازن عيناً قالوا ائت المدينة حتى تلقى محمداً فتستخبر لنا مايريد في أمر حلفائه أيبعث إلى قريش بعثاً أو يغزوهم بنفسه، ولا نراه إلا يستغورهم، فأن خرج سائراً، أو بعث بعثاً، فسر معه حتى تنتهى إلى بطن سرف فإن كان يريدنا أولاً فيسلك في بطن سرف حتى يخرج إلينا، وإن كان يريد قريشاً فسيلزم الطريق. فقال رسول الله ﷺ: وأين هوازن. قال: تركتهم ببقعاء، وقد جمعوا الجموع وأجلبوا في العرب وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم فتركت ثقيفاً على ساف قد جمعوا الجموع، وبعثوا إلى الجرش[4] في عمل الدبابات[5] والمنجنيق وهم سائرون إلى جمع هوازن فيكونون جمعاً. قال رسول الله ﷺ: وإلى من جعلوا أمرهم؟ قال إلى

(١) الوهدة: الأرض المنخفضة. [المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٤٧].
(٢) النشز: الموضع المرتفع.
(٣) وعيي: في منطقة: من العي وهو خلاف البيان [الجوهري، ١٣٩٩هـ، عي).
(٤) من مخاليق اليمن من جهة مكة.
(٥) الدبابات: آلة تستخدم للحرب وهدم الحصون، وهي عبارة هودج مصنوع من كتل خشبية صلبة على هيئة برج مربع له سقف من الخشب ولا أرض له [خطاب، ١٤٠٣هـ، ١٦٤].

فتاهم مالك بن عوف. قال رسول الله ﷺ: وكل هوازن قد أجاب إلى ما دعا إليه مالك؟ قال قد أبطأ من بني عامر أهل الجد، والجلد قال من قال: كعب وكلاب قال مافعلت هلال قال: ما أقل من ضوى[1] إليه منهم ولقد مررت بقومك أمس بمكة وقد قدم عليهم أبو سفيان بن حرب فرأيتهم ساخطين لما جاء به وهم خائفون وجلون. قال رسول الله ﷺ: حسبنا الله ونعم الوكيل، وما أراه إلا صدقني. قال الرجل فينفعني ذلك فأمر به رسول الله. خالد بن الوليد أن يحبسه، وخافوا أن يتقدم ويحذر الناس، فلما نزل العسكر مّر الظهران أفلت الرجل فطلبه خالد بن الوليد فأخذه عند الأراك[2] وقال لولا وليت عهداً لك لضربت عنقك وأخبر رسول الله فأمر به أن يحبس حتى يدخل مكة فلما دخل رسول الله ﷺ وفتحها أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام فأسلم ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن فقتل بأوطاس[3] [الواقدي، ٨٠٤ و ٨٠٦].

من وقائع الحادثة الآنفة يظهر لنا الحس الأمني الواضح لأفراد الطليعة التي أرسلها الرسول ﷺ، فقوة ملاحظة الطليعة جعلتهم يتابعون تحركات ذاك الجاسوس الذي كان على راحلته تارة ثم جلس على أرض مرتفعة الأمر الذي جعلهم يشكون في أمره وبالتالي أسرعوا نحوه فحاول الهرب فأمسكوا به، وكان الاستجواب الذي أظهر حنكة وفطنة أفراد الطليعة.

فعندما سألوه من قبيلته زعم أنه رجل من بني غفار عامداً التضليل وهو تضليل مقبول إذ المنطقة التي هو بها تابعة لقبيلة غفار وظن بذلك أنه قد أبعد الشبهة عنه ولكن ذكاء أفراد الطليعة أوقعه في الفخ عندما سألوه من أي بني

(١) ضوي إليه: أوى إليه.
(٢) موضع بعرفة، [معجم ما استعجم، ص ٨٦].
(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن. [معجم ما استعجم، ص ١٣١].

غفار أنت ؟ فعجز عن الإجابة فزاد شكهم فيه، وأرادوا أن يوقعوه أكثر فسألوه عن موضع أهله فأشار إلى ناحية من النواحي وهو تصرف لا بأس به، ولكن ذكاء أفراد الطليعة جعلهم يسألونه عن موضع الماء الذي ينزلون عليه فلم يجبهم شيئاً، فحينها تأكدوا من كذبه فاستخدموا معه أسلوباً آخر تمثل في تهديده بضرب عنقه إذا لم يبين لهم الحقيقة. ونجح التهديد فأظهر حقيقته بأنه عين لهوازن.

وبعد الاستجواب الدقيق الذي أجراه الرسول ﷺ مع الجاسوس تحصل على معلومات قيمة عن هوازن، فعلم بتجمع هوازن وموضع معسكرها وانضمام ثقيف لهم بعد أخذها في تسليح نفسها بالدبابات والمنجنيق، وعلم منه قائد الجماعة، ثم الذين تخلفوا عن الانضمام إلى هوازن، ثم تلقى معلومات عن قريش ولا شك أن تلك المعلومات اوقفت الجيش المسلم على حقيقة ما تدبره هوازن.

وظهرت حنكة الرسول. عندما أمر بحبس ذلك الجاسوس مخافة أن ينقل الأخبار إلى العدو ويحذر قريشاً من الجيش المسلم، وبالتالي يفقد الجيش المسلم أهم عناصر النصر (المباغتة) ولقد كان التصرف في محله لأن الرجل حاول الهرب فعلاً لكن القيادة المسلمة المتمثلة في شخص خالد رضي الله عنه أدركته قبل الإفلات.

٣ . ٢ . ٢ القبض على جاسوس من بني سعد وآخر من بني أسد

بعث الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه في سرية إلى بني سعد بفدك، فسار بالليل، وكمن بالنهار حتى انتهى إلى الهمج[1]، أصاب عيناً فقال:

---

(١) ماء بين خبير وفدك [ابن سعد، ١٣٨٨].

من أنت؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد؟ قال لا علم لي به. فشدوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمع منهم مائتا رجل، ورأسهم وبر بن عليم قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال: على أن تؤ منوني! قالوا: إن دللتنا عليهم، وعلى سرحهم أمناك، وإلا فلا أمان لك. قال: فذاك، فخرج بهم دليلاً لهم حتى ساء ظنهم به، وأوفى بهم على فدافد وآكام ثم أفضى بهم إلى سهول فإذا نعم كثير وشاء، فقال هذه نعمهم وشاؤهم، فأغاروا عليهم فضموا النعم والشاء. قال: أرسلوني، قالوا: لا حتى نأمن الطلب ونذربهم الراعي رعاء الغنم والشاء فهربوا إلى جمعهم فحذروهم فتفرقوا وهربوا فقال الدليل: علام تحبسني؟ قد تفرقت الأعراب وأنذرهم الرعاه. قال عليه السلام: لم نبلغ معسكرهم فانتهى بهم إليه فلم ير أحداً فأرسلوه وساقوا النعم والشاء [الواقدي، ٥٥٦ـ٥٦٣].

بالنظر في هذه الواقعة نجد أن المسلمين استفادوا من هذا الجاسوس أيما فائدة حيث علموا عدد جيش العدو وقائده وموضع معسكره، ثم استفادوا منه كدليل أرشدهم إلى مكان تجمع أنعامهم وسط طرق وعرة ما كان لهم الاهتداء إليها بهذه السرعة.

وظهرت حنكة علي رضي الله عنه في الإبقاء على الجاسوس معه حتى وصلوا إلى معسكر العدو ووجدوه خالياً من الناس. وفي ذلك احتياط من أن يقوم هذا الجاسوس بنقل المعلومات إلى قومه فعندما أمن علي رضي الله عنه من الطلب وتأكد من خلو المعسكر أطلق سراح الجاسوس بعد أن أصبح إطلاقه لايمثل خطراً على الجيش المسلم.

وفي سرية عكاشة بن محصن إلى بني أسد تمكنت طليعة من جيشه أن تقبض على جاسوس لبني أسد كان نائماً. قال الواقدي: (فأخذوه وهو نائم. فقالوا: الخبر عن الناس؟ قال: وأين الناس؟ قد لحقوا بعلياء بلادهم. قالوا: فالنعم؟ قال: معهم. فضربه أحدهم بسوط في يده. قال تؤمنني على دمي وأطلعك على نعم لبني عم لهم لم يعلموا بمسيركم إليهم؟ قالوا نعم. فانطلقوا معه فخرج حتى أمعن، وخافوا أن يكونوا معه في غدر فقربوه. فقالوا: والله لتصدقنا، أو لنضربن عنقك. قال: تطلعون عليهم من الظريب[1]. قال: فأوفوا على الظريب. فإذا نعم وشاء رواتع، فأغاروا عليه فأصابوه وهربت الأعراب في كل وجه، ونهي عكاشة عن الطلب واستاقوا مائتي بعير فحدروها إلى المدينة وأرسلوا الرجل [الواقدي، ٥٥٠].

لقد استفادت هذه السرية من معلومات هذا الجاسوس في الحصول على نعم الأعداء بعد أن اتخذته دليلاً لها. واطلقت سراحه بعد أن أمنت الطلب تماماً كما فُعِل بجاسوس بني سعد.

٣ . ٢ . ٣ الحصول على المعلومات عن طريق الموالين للمسلمين

عندما عزمت قريش على غزو النبيﷺ ـ غزوة أحد ـ وجمعت لذلك الجموع وأعدت له العدة كتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ يخبره بخبر قريش في رسالة مستعجلة، فأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد في السير حتى أنه قطع الطريق بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام، وهو زمن قياسي في ذاك الزمان، وسلم الرسالة إلى الرسول ﷺوهو بمسجد

(١) الظريب: الجبل المنبسط الصغير. [القاموس المحيط، ج ١، ص ٦١].

قباء وقرأ الرسالة عليه أبي بن كعب رضي الله عنه فأمره بالكتمان وعاد مسرعاً إلى المدينة [باشميل، ١٢] .

لقد تحصل الرسول . على هذه المعلومة البالغة الأهمية في الوقت المناسب لأنها وصلت قبل وقت كاف من وصول العدو المدينة ومباغتتها، ولعل ذلك يرجع إلى حسن اختيار الوسيلة التي قطعت المسافة في ثلاثة أيام فقط .

بناء على هذه المعلومة القيمة اتخذ الرسول ﷺ جميع الترتيبات اللازمة استعداداً لمجابهة الموقف، وقد كانت أبرز الاحتياطات التي اتخذها الرسول ﷺ كالآتي :

طلب من أبي بن كعب كتمان الأمر مخافة أن ينتشر في المدينة التي تعج بالمنافقين واليهود الذين ربما استغلوا الحدث لإحداث بلبلة وسط الصف المسلم، مما قد يترتب عليه آثار جانبية، أو ربما ينقل هؤلاء الخبر إلى قريش التي تعتقد أن الأمر لم يبلغ المدينة بعد فإذا علمت بذلك ربما غيرت خطتها، وتفادت عنصر المفاجأة فيما لو حضرت إلى المدينة وعلمت حينها أن المسلمين على قمة الاستعداد فيفسد عليهم عنصر المباغتة، ويجردهم من سلاح خطير الأثر في تحديد نتائج الحرب نصراً وهزيمة .

ثم بعد ذلك فرضت حراسة صارمة على باب رسول الله ﷺ من سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير رضي الله عنهم فكانوا يبيتون على باب رسول الله ﷺ يحرسونه [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٢٦) . وهو أمر لازم حيث لايستبعد أن يتسلل إليه أحد الأعداء ليلاً ليحاول النيل منه ـ كما أنهم فرضوا حراسة تامة على جميع مداخل المدينة حتى لايؤخذوا عن غرة [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٢٦] .

فعن طريق تلك المعلومة التي أرسلها العباس رضي الله عنه تمكن الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من اتخاذ كل التدابير آنفة الذكر ومما هو جدير بالملاحظة أن العباس ساعتها لم يكن مسلماً وإنما كان موالياً للرسول. بسبب القرابة القريبة بينه وبين النبي ﷺ ولعل في ذلك درس للمسلمين فيمكن لهم أن يستفيدوا من الموالين لهم في صف عدوهم إذا أمنوا جانبهم وسبروا صدقهم.

٣ . ٣ الجوانب الأمنية في المهمات الخاصة أثناء الغزوات

أسند النبي ﷺ بعض المهمات العسكرية إلى نفر من أصحابه رضي الله عنهم. ولقد صاحب هذه المهمات الفردية عدة جوانب أمنية الأمر الذي كلل تلك المهمات بالنجاح. وسوف نقف على أبرز هذه المهمات من خلال تناولنا لهذا المبحث بإذن الله.

٣ . ٣ . ١ مهمة خوات بن جبير رضي الله عنه(*) للحصول على معلومات عن بني قريظة

أوكل الرسول ﷺ لخوات بن جبير رضي الله عنه مهمة الحصول على بعض المعلومات عن بني قريظة عقب نقضهم للعهد في غزوة الخندق. وعلى الرغم من أن هذه المهمة لم تكلل بالنجاح إلا أنها لم تخل من الدروس الأمنية التي ينبغي على المسلمين عامة والدعاة خاصة الوقوف عليها.

قال خوات رضي الله عنه: (دعاني رسول الله ﷺ ونحن محاصرو الخندق. فقال: انطلق إلى بني قريظة فأنظر هل ترى لهم غرة أو خللا من

(*) خوات بن خيبر بن النعمان الأنصاري كان أحد فرسان الرسول ﷺ شهد بدراً توفي بالمدينة عام ٤٠هـ [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٣٤٦].

موضع فتخبرني. قال: فخرجت من عنده عند غروب الشمس فتدليت من سلع[1]، وغربت لي الشمس، فصليت المغرب، ثم خرجت حتى أخذت في راتج. ثم على عبد الأشهل، ثم في زهرة، ثم على بعاث، فلما دنوت من القوم قلت أكمن لهم فكمنت ورمقت الحصون ساعة ثم ذهب بي النوم، فلم أشعر إلا برجل قد احتملنى وإننا نائم فوضعني على عنقه ثم انطلق يمشي. قال: ففزعت ورجل يمشي بي على عاتقه فعرفت أنه طليعة من بني قريظة، وإستحييت تلك الساعة من رسول الله ﷺ حياء شديداً، حيث ضيعت ثغراً أمرني به ثم ذكرت غلبة النوم. قال: والرجل يرقل بى إلى حصونهم فتكلم باليهودية فعرفته. قال: أبشر بجزرة سمينة قال: وذكرت، وجعلت أضرب بيدي، وعهدي بهم لا يخرج منهم أحد أبداً إلا بمعول في وسطه. قال: فأضع يدي على المعول فأنتزعه وشغل بكلام رجل من فوق الحصن فانتزعته فوجأت به كبده، فاسترخى وصاح السبع. فأوقدت اليهود النار علىأطامها بشعل السعف، ووقع ميتاً وانكشف فكنت لا أدرك وأقبل من طريقي التي جئت منها [الواقدي، ٤٦٠ ـ ٤٦١].

ربما وقع اختيار الرسول ﷺ على خوات لعدة ميزات لعل من أبرزها: أنه من الأنصار أهل المدينة، وهذا يساعده في القيام بالمهمة لأنه أدرى بشعاب المدينة، ومداخلها ومخارجها، فذلك يجعله يسلك أقصر الطرق وآمنها أثناء قيامه بالمهمة وهذا من ظهر لنا من خلال سرده للطريق الذي سلكه في هذه المهمة - بخلاف المهاجري الذي لا يحيط بمداخل ومخارج المدينة مما يجعله غير مناسب للقيام بمثل هذه المهمة.

---

(١) من جبال المدينة [معجم البلدان، ج ٣، مادة: سلع].

كما أن خواتاً رضي الله عنه كان يعلم لغة اليهود. وهو شيء ضروري لأنه يستطيع أن يفهم كل ما يسمعه من أقوال اليهود وقد ظهرت فائدة تعلم اللغة عندما علم ما قاله اليهودي الذي حمله، وهو نائم فتيقن أنه وقع في يد اليهود.

أضف إلى ذلك، حسه الأمني الرفيع، وحسن تصرفه الذي مكنه من الإفلات فاستفاد من معرفته لعادات اليهود المتمثلة في حمل المعول في الوسط فتحين الوقت المناسب واستل المعول وضرب به اليهودي في موضع قاتل وخلص بذلك نفسه من قبضة العدو.

كما أن خوات رضي الله عنه امتاز بالسرعة في العدو فقد صرح بأنه لا يُدرك. وهذه صفة وميزة هامة لمن يقوم بمثل هذه المهمات وظهرت أهمية هذه الميزة في تمكن خوات رضي الله عنه من الإفلات بسرعة عقب قتله لليهودي بالقرب من حصون قومه، ولو كان بطيئاً، أو متوسط السرعة ربما أدركه اليهود.

أما الدرس الذي يمكن أن يستفيده المسلمون من هذه الحادثة فهو ما بدر من خوات رضي الله عنه عندما نام أثناء قيامه بالمهمة الأمر الذي جعله صيداً سهلاً للعدو فألقوا القبض عليه. كما أنه ـ على حد قوله ـ ضيع ثغراً أمره به الرسول ﷺ فحري بالمسلمين أن يسندوا مثل هذه المهمات لمن يملك نفسه عند غلبة النعاس، أو الإرهاق، أو غير ذلك.

ودرس آخر يمكن أن نفيد منه في هذه الحادثة. فعلى القيادة المسلمة في جهاز الأمن والاستخبارات ألا يرسلوا أي فرد إلى تنفيذ مهمة في منطقة ما إلا بعد التأكد من أنه عليم بمداخلها، ومخارجها، وعلى دراية بعادات وتقاليد ولغة تلك المنطقة. فكل ذلك يساعد الفرد المسلم على النجاح في

المهمة الموكلة إليه أو على الأقل يمكنه من الإفلات إذا ما وقع في يد العدو تمامًا كما فعل خوات رضي الله عنه .

٣ . ٢ . ٣ مهمة نعيم بن مسعود رضي الله عنه(*) لتخذيل الأحزاب

لقد قام نعيم بن مسعود رضي الله عنه بهذه المهمة خير قيام ونجح فيها أيما نجاح ، فكانت قاصمة الظهر بالنسبة لجيوش الأحزاب فدبت الفرقة بين صفوفهم وفقدت الثقة بينهم وبين اليهود وذلك وفق الخطة المحكمة التي وضعها ونفذها نعيم بن مسعود رضي الله عنه بدرجة عالية من الدقة والإتقان .

قال نعيم بن مسعود : (وقذف الله عز وجل في قلبي الإسلام وكتمت قومي إسلامي فأخرج حتى آتي رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء ووجدته يصلي ، فلما رآني جلس ثم قال : ماجاء بك يانعيم؟ قلت : إني جئت أصدقك ، وأشهد أن ما جئت به حق . فمرني بما شئت يارسول الله فوالله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له قومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم . قال : ما استطعت أن تخذل الناس فخذل . قال : قلت أفعل ، ولكن يا رسول الله أقول فأذن لي . قال : قل ما بدا لك فأنت في حل . قال : فذهبت حتى جئت بني قريظة فلما رأوني رحبوا ، وأكرموا وحيوا وعرضوا علي الطعام والشراب . فقلت : إني لم آت لشيء من هذا . إنما جئتكم نصباً بأمركم وتخوفاً عليكم لأشير عليكم برأي وقد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . فقالوا : قد عرفنا ذلك وأنت عندنا على ما تحب من الصدق والبر . قال : فأكتموا عني . قالوا : نفعل . قال : إن أمر هذا الرجل بلاء - يعني النبي ﷺ - صنع ما قد رأيتم ببني قينقاع وبني النضير ، وأجلاهم عن بلادهم

(*) نعيم بن مسعود الغطفاني الأشجعي أسلم في موقعة الخندق مات في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه [ابن الأثير ، ١٣٨٥هـ ، ص ٣٤٨] .

بعد قبض الأموال . وكان ابن أبي الحقيق قد سار فينا فاجتمعنا معه لنصركم وأرى الأمر قد تطاول كما ترون وإنكم والله ما أنتم وقريش ، وغطفان من محمد بمنزلة واحدة . أما قريش وغطفان فهم قوم جاءوا سيارة حتى نزلوا حيث رأيتم فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كانت الحرب ، أو أصابهم ما يكرهون انشمروا إلى بلادهم ، وأنتم لا تقدرون على ذلك البلد بلدكم فيه أموالكم وابناؤكم ونساؤكم وقد غلظ عليهم جانب محمد أجلبوا عليه أمس إلى الليل فقتل رأسهم عمرو بن ود ، وهربوا منه مجرحين ، هم لا غناء بهم عنكم لما تعرفون عندكم . فلا تقاتلوا مع قريش ولا غطفان حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به منهم إلا يناجزوا محمداً . قالوا : أشرت بالرأى علينا ، والنصح ، ودعوا له ، وشكروا وقالوا : نحن فاعلون . قال : ولكن اكتموا عني . قالوا : نعم نفعل . ثم خرج إلى أبي سفيان بن حرب في رجال من قريش ، فقال : يا أبا سفيان قد جئتك فاكتم عني قال : أفعل . قال : تعلم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وأرادوا إصلاحه ومراجعته وأرسلوا إليه وإننا عندهم : إنا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلا نسلمهم إليك تضرب أعناقهم ، وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعنون بني النضير - ونكون معك على قريش حتى تردهم عنك فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم أحداً واحذروهم على أشرافكم ، ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفاً . قالوا : لا نذكره . ثم خرج حتى أتى غطفان . فقال : يامعشر غطفان إنى رجل منكم فاكتموا عني واعلموا أن قريظة بعثوا إلى محمد - وقال لهم مثل ما قال لقريش - فاحذروا ان تدفعوا إليهم أحداً من رجالكم وكان رجلاً منهم فصدقوه . وأرسلت يهود غزال بن السموءل إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش : إن ثواءكم قد طال ولم تصنعوا شيئاً وليس الذي تصنعون

برأي إنكم وعدتمونا يوماً تزحفون فيه إلى محمد فتأتون من وجه وتأتي غطفان من وجه ونخرج نحن من آخر لم يفلت من بعضنا ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهان من أشرافكم يكونون عندنا فإننا نخاف إن مستكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شمرتم، وتركتمونا في عقر دارنا، وقد نابزنا محمداً بالعدواة. فانصرف الرسول إلى بني قريظة، ولم يرجعوا إليهم شيئاً، وقال أبوسفيان: هذا ما قال نعيم. فخرج نعيم إلى بني قريظة فقال: يا معشر بني قريظة أنا عند أبي سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهان فلم يرد عليه شئياً فلما ولى قال: لو طلبوا مني عناقاً[1] ما رهنتها إننا أرهنهم سراة أصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم! فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً. وانصرف أبو سفيان تكونوا على موادعتكم الأولى. قالوا ترجو ذلك يانعيم؟ قال: نعم. قال كعب بن أسد: فإنا لا نقاتله والله لقد كنت كارهاً ولكن حيياً مشؤوم . . .

كان ليلة السبت قال أبو سفيان يامعشر قريش: هلك الكراع والخف وغدرت اليهود وكذبت وليس هذا بحين مقام فانصرفوا قالت قريش: فاعلم علم اليهود، واستيقن خبرهم. فبعثوا عكرمة بني أبي جهل حتى جاء بني قريظة عند غروب الشمس مساء السبت. فقال: يامعشر اليهود قد طال المكث، وجهد الخف والكراع. وإنا لسنا بدار مقامة أخرجوا إلى هذا الرجل حتى نناجزه بالغداة. قالوا: غداً السبت لانقاتل ولا نعمل فيه عملاً. وإنا مع ذلك لانقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا رهاناً من رجالكم يكونون معنا لئلا تبرحوا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن أصابكم الحرب أن تشمروا-إلى بلادكم-وتدعونا وإياه في بلادنا ولا طاقة لنا به. معنا الذراري والنساء، والأموال. فخرج عكرمة إلى أبي سفيان فقالوا: ما وراءك؟ قال:

---

(١) العناق: الأنثى من أولاد المعز [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٦٩].

أحلف بالله إن الخبر الذي جاء به نعيم حق . لقد غدر أعداء الله . وأرسلت غطفان إليهم مسعود بن رخيلة في رجال منهم بمثل رسالة أبي سفيان وقالت اليهود : حيث رأوا ما رأوا منهم نحلف بالله إن الخبر الذي قال نعيم لحق وعرفوا أن قريشاً لا تُقيم فسقط في أيديهم فكر أبو سفيان إليهم وقال : « إنا والله لا نفعل إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت اليهود مثل قولهم الأول وجعلت اليهود تقول : الخبر ما قال نعيم . ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء واختلف أمرهم . فكان نعيم يقول إنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه ، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره» [الواقدي ، ٤٨٠ ـ ٤٨٤ ، وابن هشام ، ٢٢٩].

إن المتأمل لوقائع المهمة يجد أن نعيماً رضي الله عنه قد أحكم الخطة منذ البدء . فهو لم يخبر أحداً بإسلامه سوى الرسول . وأخفي إسلامه عن قومه مما ساعده على القيام بهذا الدور الخطير فلو علم أحد من الكفار ، أو اليهود بإسلامه لفشلت الخطة منذ البداية . كما أنه حضر متخفياً من قومه ، فلم يعلموا بلقائه مع الرسول ﷺ الذي تم في وقت أحسن نعيم اختياره فكان بين المغرب والعشاء حيث يكون ظلام الليل غطاء جيداً لتحركاته فلو علم به أحد المشركين أو رآه وهو يدخل معسكر المسلمين لحامت حوله الشكوك مما يؤثر سلباً على مهمته . يلاحظ أنه استغل علاقاته القديمة استغلالاً جيداً مع كل الأطراف في جيش الأحزاب ، فعلاقته الطيبة مع اليهود مهدت له الاتصال بهم ، والحديث معهم ، وعلاقته الجيدة مع قريش ساهمت في قبول قوله لديها ، أما غطفان فهم أهله وعشيرته وهو عندهم ليس بمتهم .

فأظهر نعيم لليهود وده لهم ، وحسن علاقته السابقة معهم فاطمأنوا له ، وقالوا له : صدقت لست عندنا بمتهم . وجاء إلى قريش مظهراً وده لها أيضاً ، وأظهر فراقه لمحمد صلى الله عليه وسلم فاطمأنوا له ، وصدقوا قوله

وفعل ذات الشيء مع غطفان، فجاءهم من الناحية العاطفية فأظهر حبه وانتماءه لهم حتى قالوا ما أنت عندنا بمتهم.

وأطال الحديث مع اليهود دون سواهم وبالغ في إظهار شفقته، وخوفه عليهم. فبين لهم أنهم ليسوا كقريش وغطفان، وأن البلد بلدهم فيه أموالهم ونساؤهم وأطفالهم. فلا يستطيعون الرحيل عنه، بخلاف قريش وغطفان الأمر الذي جعل اليهود يقولون له: لقد أشرت بالرأي. ولعل ذلك التركيز على اليهود دون سواهم لأنهم يمثلون الجانب الرئيسي في الخطة.

نلاحظ أن نعيم بن مسعود رضي الله عنه طلب من جميع الأطراف الكتمان في بداية الكلام وختامه، وذلك يحقق له زيادة الثقة من قبل الأطراف الثلاثة إلى جانب ضمان عدم تسرب خبر اللقاء وما تم فيه من طرف لآخر فأي تسرب يقود إلى الفشل في المهمة، وحتى لا يعلم اليهود بلقاء نعيم لقريش وغطفان، ولا تعلم قريش وغطفان بلقاء نعيم باليهود. طلب من كل طرف كتمان الأمر تماماً، وكرر عليه ذلك بدءاً وختماً .

بعد أن كسب نعيم رضي الله عنه ثقة اليهود، أشار إليهم بأن يأخذوا رهائن من قريش وغطفان، كضمان لهم من أن تغادر الأحزاب المدينة وتتركهم. وحثهم على عدم دخول الحرب إلا بعد الحصول على الرهائن. وفي ذات الوقت زعم لقريش وغطفان أن اليهود ندموا على خيانتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واتفقوا معه على ان يسلموه سبعين من أشراف قريش وغطفان ليقتلهم، وطلب منهم عدم تسليم اليهود أولئك الرهائن من أشرافهم مخافة أن يسلمهم اليهود إلى محمد ﷺ ليقتلهم.

ولكي يؤكد لليهود صحة قوله ذهب إليهم مرة أخرى عقب حضور وفد اليهود لقريش، ومطالبته بالرهائن، واختلق حيلة أخرى، زعم فيها أن أبا سفيان رفض أن يعطي الوفد الرهائن، بل لم يرهن لديهم عناقاً.

الأمر الذي أثار حفيظة اليهود، وجعلهم يصرون على شرط الرهائن مما ساعد في نجاح المهمة.

عقب اتصال قريش وغطفان باليهود، ورفضهم تسليم الرهائن لليهود قالوا: نحلف بالله أن الخبر الذي قال نعيم لحق، وقالت قريش وغطفان: الخبر ما قال نعيم. ويئس كل طرف من نصر الآخر وتفرق جمعهم، وهكذا انطلت الحيلة على الأطراف الثلاثة. وبذلك نجح نعيم في مهمته في تخذيل الأحزاب حسب توجيه رسول الله ﷺ.

٣ . ٣ . ٣ مهمة حذيفة رضي الله عنه للتأكدمن مغادرة جيوش الأحزاب

عقب نجاح مهمة نعيم رضي الله عنه، والخلاف الذي دب بين الأحزاب، وعزم قريش، وغطفان على الرحيل عن المدينة. أراد الرسول ﷺ التأكد من رحيل الأحزاب. فأرسل حذيفة بن اليمان ليقوم بهذه المهمة. قال حذيفة رضي الله عنه: (لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله ﷺ في ليلة شديدة البرد قد اجتمع علينا البرد والجوع، والخوف. فقال رسول الله ﷺ: من رجل ينظر لنا فعل القوم جعله الله رفيقي في الجنة. فقال حذيفة يشترط له رسول الله ﷺ الجنة والرجوع. فما قام منا رجل! ثم عاد يقول ذلك ثلاث مرات وما قام رجل واحد من شدة الجوع والقر والخوف. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك لا يقوم أحد دعاني فقال: يا حذيفة قال: فلم أجد بداً من القيام حين فّوه باسمي فجئته ولقلبي وجنان (وجنان خفقان «الجوهري، الصحاح، ج ٦، مادة وجن») في صدري فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولاتقوم؟ فقلت: لا والذي بعثك بالحق إن قدرت على مابي من الجوع والبرد. فقال: إذهب فانظر مافعل القوم، ولا ترمين بسهم،

ولا بحجر، ولا تطعن برمح. ولا تضربن بسيف، حتى ترجع إلى. فقلت: يارسول الله ما بي يقتلوني، ولكن أخاف أن يمثلوا بي. قال رسول الله ﷺ: ليس عليك بأس فعرفته أنه لا بأس عليّ مع كلام رسول الله ﷺ ثم قال: اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يقولون. فلما ولّى حذيفة ودخل عسكرهم فإذا هم يصطلون على نيرانهم وإن الريح تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قراراً ولا بناء. فأقبلت فجلست على نار مع قوم فقام أبو سفيان فقال: احذروا الجواسيس والعيون ولينظر كل رجل جليسه قال فالتفت إلى عمرو بن العاص فقلت: من أنت؟ وهو على يميني فقال عمرو بن العاص والتفت إلى معاوية بن أبي سفيان، فقلت: من أنت؟ فقال معاوية بن أبي سفيان. ثم قال أبو سفيان: إنكم والله لستم بدار مقام لقد هلك الخف[1] والكراع[2]، وأجدب الجناب[3]، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره وقد لقينا من الريح ما ترون والله ما يثبت لنا بناء ولا تطمئن لنا قدر فارتحلوا فإني مرتحل. وقام أبو سفيان وجلس على بعيره وهو معقول ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم فما أطلق عقاله إلا بعد ماقام ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي (لا تحدث شيئاً حتى تأتي) لقتلته فناداه عكرمة بن أبي جهل: إنك رأس القوم وقائدهم تقشع وتترك الناس ؟ فاستحى أبو سفيان فأناخ جمله ونزل عنه وأخذ بزمامه يقوده [الواقدي، ٤٨٨، وابن هشام، ٢٣٢] وبعد ذلك رجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر [ابن كثير، ١١٧، وابن هشام، ٢٣٣].

---

(١) الخف: الإبل [الجوهري، ١٣٩٩هـ، مادة خفف].

(٢) الكراع: الخيل [ابن هشام، ٢٣٢].

(٣) الجناب: الفناء (المكان) [الزبيدي، ١٩٧٦م، ١٩٠ مادة جنب].

إن أول مايلفت انتباه الباحث اختيار حذيفة رضي الله عنه دون سواه من الصحابة رضي الله عنهم ولعل سبب الاختيار - والله أعلم - يرجع إلى بعض الصفات التي يمتاز بها حذيفة رضي الله عنه عن غيره كالذكاء والإقدام وحسن التصرف وكتمان السر وهو حافظ سر رسول الله ﷺ حين أعلمه بأسماء المنافقين [ابن حجر، ١٣٩٨هـ، ٢٧٧] فشخص بهذه المواصفات أهل للقيام بهذه المهمة البالغة الحساسية .

يلاحظ أن أبا سفيان كان على درجة عالية من الحيطة والحذر فقبل أن يصرح بما يريد أراد التأكد من عدم وجود عيون وجواسيس وسط جيشه وبخاصة أن الموقف فيه من العوامل التي تسمح بدخولهم إلى الجيش، فالظلام والرياح والحالة النفسية، كلها عوامل تساعد الجواسيس على التسلل إلى داخل الجيش، كما دخل حذيفة رضي الله عنه. فقال لهم أبوسفيان لينظر كل امرئ جليسه فهذا تصرف ينم عن الحس الأمني لأبي سفيان فهذه أنسب طريقة لمعرفة ما إذا كان هناك جواسيس وعيون أم لا.

ولقد تفوق حذيفة بسرعة بديهته، وذكائه على خطة أبي سفيان فبادر بسؤال من حوله قبل أن يسألوه، ولو سألوه لكشف أمره وبخاصة أنه كان يجلس بالقرب من عمرو بن العاص داهية العرب ومعاوية داهيتها الآخر.

وهذا يعد من أبرز الميزات التى ساعدت حذيفة في نجاح مهمته، والخروج من هذا المأزق الصعب، مما يؤ كد دقة اختيار الرسول ﷺ لحذيفة رضي الله عنه.

وفي ذلك درس أمني ينبغي الوقوف عنده فعندما توكل لأحد المسلمين مهمة أمنية، فلا بد أن يكون متمتعاً بجملة من الصفات الهامة. بحيث يكون حاضر البديهة، حسن التصرف حيال الأمور الطارئة التي لم تكن في

الحسبان، فلا ينبغي أن يقف المسلم مكتوف الأيدي، ويقول هذه خارج الخطه ولم يرسم أو يوضع لها مخرجاً. بل لا بد من التصرف السليم السريع دون ارتباك، أو اضطراب تماماً كما فعل حذيفة رضي الله عنه.

ودرس آخر يمكن أن نستفيده من تلك الحادثة وهو التزام حذيفة رضي الله عنه بأوامر رسول الله ﷺ وعدم الخروج عنها بأي حال من الأحوال فهو لم يخرج عن الأوامر بالرغم من أنه وجد الفرصة مواتية لقتل قائد المشركين إلا أنه لم يفعل ذلك تقيداً بالأوامر الصادرة إليه من قيادته.

فيجب على رجال الأمن المسلمين، وهم يقومون بمثل هذه المهمات أن يتقيدوا التقيد التام بالأوامر التي تصرف لهم من قيادتهم لأنها غالباً ما تصدر عقب دراسة وتأن.

٣ . ٤ أهمية التدابير الأمنية في نجاح الغزوات

اهتم الرسول ﷺ اهتماماً بالغاً في الاستعانة بالتدابير الأمنية خلال معاركه مع أعداء الإسلام. ومن تلك التدابير الأمنية الهامة التي حض على الأخذ بها الكتمان، والرسائل المكتومة، والحس الأمني المرهف، وقتل الجواسيس وفيما يلي نقف على تلك التدابير بنوع من التفصيل.

٣ . ٤ . ١ الكتمان

الكتمان من المصطلحات العسكرية الحديثة معناه: إخفاء المعلومات العسكرية الخاصة بقوات بلد ما، وأسلحتها، وتنظيمها، وتجهيزها وقيادتها وحركتها، وعدم إفشاء الأسرار العسكرية مهمة كانت أم غير مهمة، صغيرة كانت أم كبيرة، وتافهة أم خطيرة، لأي إنسان سواء أكان عدواً أم صديقاً [خطاب، ١١].

وفي حياة النبي ﷺ العسكرية أمثلة - رائعة - في الكتمان ذكرنا بعضها

في ثنايا هذا البحث. ويجدر بالمسلمين أن يتعظوا بها خاصة وهم في وقت أخذ أعداء الإسلام يشددون من كيدهم على أمة الإسلام. ونذكر هنا كتمانه عليه السلام في أمر فتح مكة. فقد بلغ النبي ﷺ في تطبيق عامل الكتمان في فتح مكة ذروة الكمال ولهذا يعد من أعظم دروس الكتمان العسكري على الإطلاق وفيما يلي نوضح ذلك.

عندما أراد الرسول ﷺ الخروج إلى فتح مكة أمر بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ. فقال: أي بنيه أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري [ابن هشام، ٣٩٧]. فدخل رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يارسول الله أردت سفراً؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. قال: أفأتجهز؟ قال: نعم. قال: أبو بكر: وأين تريد يارسول؟ قال: قريشاً، واخف ذلك يا أبا بكر. وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز. قال أبو بكر: أوليس بيننا وبينهم مدة؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد، فأنا غازيهم، وقال لأبي بكر: اطو ما ذكرت لك! فظان يظن أن رسول الله ﷺ يريد الشام وظان يظن ثقيفاً، وظان يظن هوازن. وبعث رسول ﷺ أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر إلى بطن إضم[1] ليظن ظان أن رسول ﷺ توجه إلى تلك الناحية [الواقدي، المغازي، ٧٩٦].

إن المتأمل لسياق الخبر السابق يتبين له الكتمان الشديد الذي كان يضربه الرسول ﷺ على الجهة التي يريد حتى على أقرب الناس إليه فهاهي السيدة عائشة رضي الله عنها تقسم لأبيها أنها لا تدري عن الجهة التي يريدها رسول الله ﷺ.

---

(١) إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة [معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨١].

كما أنه ﷺ كان يلح في الدعاء كي يأخذ الله الأخبار عن عيون قريش حتى يأتوهم بغته وبعث دورياته الاستطلاعية داخل المدينة وخارجها، وراقب منافذ المدينة ووضع عليها حراسة مشددة لمنع وصول الأخبار إلى قريش عن طريق اليهود أو المنافقين من أهل المدينة [الواقدي، ٧٩٦].

ومن حرص رسول الله ﷺ على الكتمان أنه بعد أن أخبر أبابكر رضي الله عنه بالجهة طلب منه أن يطوي ماسمعه، وكرر له ذلك مرتين حرصاً منه ألا يتسرب الخبر. فكان نتاج ذلك الكتمان الشديد أن أصبح الناس في حيرة من الجهة التي يريدها رسول الله ﷺ. فظان يظن الشام، آخر يظن ثقيفاً، وثالث يظن هوازن.

ولكي يزيد الرسول ﷺ من أساليب التمويه، والكتمان على جهته، بعث سرية من أصحابه إلى (اضم) ليظن من يراها أنه يريد التوجه إلى تلك الجهة، ولتذهب الأخبار بذلك.

وزيادة في الكتمان لم يعلم الجيش المسلم وجهته حتى وصل إلى العرج[1] والناس لا يدرون وجهة رسول الله ﷺ. وقد كانوا يحبون أن يعلموا لدرجة أنهم حاولوا استدراج رسول الله ﷺ ليعلموا جهة سيره فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا [الواقدي، ٨٠٢]. حتى أن أحد الصحابة قال له: يا رسول الله بلغني خروجك ومن يجتمع إليك: فأقبلت سريعاً، ولم أجمع قومي ولست أرى هيئة حرب ولا أرى ألوية ولا رايات فالعمرة تريد؟ فلا أرى هيئة الإحرام فأين وجهك يارسول الله ؟ قال: حيث يشاء الله [الواقدي، ٨٠٣].

---

(١) العرج: منطقة بين مكة والمدينة [معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨١].

من كلام الصحابي السابق يتضح لنا وبصورة جلية مدى الكتمان الذي كان يفرضه الرسول ﷺ على تحركه نحو مكة، فهو لم يعقد ألوية فيعرف الناس أنه خرج محارباً، ولم يحرم ليظهر للناس أنه معتمر. وهذا قمة في الكتمان، والسرية حتى الإجابة التي أجاب بها الرسول ﷺ الصحابي كانت إجابة مبهمة لا يفهم منها جهة بعينها.

ليس من السهل أبداً أن يتحرك جيش تعداده عشرة آلاف مقاتل بين راكب وراجل مؤلف من كل القبائل العربية تقريباً، يتحرك من المدينة إلى مكة دون أن تعرف قريش، ودون أن يعرف حلفاؤها بهذا التحرك الضخم، ولا بعدد قواته حتى يصل المسلمون الفاتحون إلى ضواحي مكة المكرمة فيفلت الأمر من قريش وحلفائها، ولا يجدون أمامهم غير الاستسلام ولكنها القيادة العسكرية الفذه، فلو انكشفت الخطة لقريش في وقت مبكر لاستطاعت أن تحشد حشودها ولأعدت خطة عسكرية لإحباط هجوم المسلمين ولكان بإمكانها مقاومة الجيش المسلم أطول مدة ممكنة. إن كتمان النبي ﷺ نياته حتى عن أقرب الناس إليه وكتمان وقت حركته وتعداد جيشه وتسليحه هو الذي أدى ـ بعد عون الله ونصره ـ إلى الفتح الكبير [خطاب، ٣٧ و ٤٠].

هذا ومما كان يستعين به الرسول ﷺ في أمر الكتمان أنه كان يحض على السير ليلاً والاستخفاء نهاراً. وكان يركز على الصمت أثناء السير. كما أنه استعان بالرسائل المكتومة وفيما يلى نفصل قليلاً في هذه الرسائل:

٣ . ٤ . ١ . ١ السير ليلاً والاستخفاء نهارا

من أساليب الكتمان التي كان يستخدمها النبي ﷺ في غزواته وسراياه السير ليلاً. والاستخفاء نهاراً. وفي ذلك كتمان لتحرك القوات المسلمة عن

عيون الأعداء حتى تباغتهم وتأخذهم عن غرة وهم غافلون [فرج، ٢٣٢ و ٦١١]. وقد حدث ذلك في عدة سرايا منها سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى أم قرفة. قال لهم الرسول ﷺ اكمنوا النهار وسيروا الليل، وفي سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة كانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار وفي سرية بشير بن سعد ابي الجناب أمرهم الرسول ﷺ أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار وفي سرية حضرة وسرية شجاع بن وهب إلى بني عامر كانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار وفي جميع هذه السرايا كان التوفيق حليف المسلمين بعون الله ثم بنتيجة الكتمان الذي يباغتون به الأعداء فلا يجدون أمامهم إلا الفرار أو الاستسلام [الواقدي ٥٦٤ ، ٧٢٢ ، ٧٢٨ ، ٧٧٨ ، ٧٥٣].

٣ . ٤ . ١ . ٢ السير الصامت

كان النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يتوخون الصمت في السير، وبخاصة إذا كان الوقت ليلاً لأن الصوت في الليل يسمع من مكان بعيد بخلاف النهار. فالصمت وعدم إصدار الأصوات ليلاً من الأشياء التي تساعد على تحقيق الكتمان. وقد كان النبي ﷺ حريصاً على تحقيق الصمت أثناء تحرك الجيش المسلم ليلاً لذا أمر في غزوة بدر أن تقطع الأجراس من أعناق الإبل [باشميل، ١٢٧]. فربما كان ذلك من أجل إخفاء حركة الجيش لأن الأجراس تحدث أصواتاً عالية عند سير الجمال وهذاما قد يسهل على العدو معرفة مكان الجيش المسلم لهذا ـ والله أعلم ـ أمر الرسول ﷺ بقطعها من أعناق الإبل. كما أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يراعون الصمت أثناء التحرك فكانوا يسيرون بحركة خفية ولا يتكلمون إلا همساً [الواقدي، ٧٢٦]. فهذا يظهر لنا حرص الصحابة رضي الله عنهم على الكتمان .

٣ . ٤ . ١ . ٣ الرسائل المكتومة

بعث النبي ﷺ سرية من المهاجرين قوامها اثنا عشر رجلاً تحت إمرة عبد الله بن جحش للقيام بواجبات استطلاعية وحمل أميرها رسالة مكتومة وأمره الرسول ﷺ ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وعلم ما فيها مضى في تنفيذها غير مستكره أحداً من أفراد قواته على مرافقته وكانت فحوى الرسالة : إذا نظرت في كتابي هذا فأمض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم وبعد يومين من المسير من المدينة فض عبد الله رضي الله عنه الرسالة المكتومة ونفذ ما فيها [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٥].

لقد ابتكر الرسول ﷺ هذا الأسلوب للمحافظة على الكتمان الشديد ولحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن تحركات المسلمين وأهدافهم. ولهذا كان عامل الكتمان هذا من العوامل الهامة التي ساعدت في انتصار المسلمين.

٣ . ٤ . ٢ قوة التحمل أثناء الاستطلاع

ربما يُصاب أحد أفراد الطليعة أثناء قيامه بمهمته الاستطلاعية وتكون هذه الإصابة غير خطيره، أو يمكن تحملها والصبر عليها. ففي هذه الحالة ينبغي على الفرد أن يواصل مهمته في صبر وثبات، متحلياً بقوة التحمل التي يجب مراعاتها قبل اختيار أفراد الطليعة. فإذا لم يتصف الفرد بالتحمل يمكن أن يؤدي ذلك إلى نتائج عكسية فبمجرد إصابته يتوقف عن المهمة، أو يستسلم للعدو، فيكشف أمره. وبالتالي يفقد المسلمون فرداً منهم إلى جانب فقدان المعلومات التي كان يمكن أن يأتي بها، لذا نجد أن النبي ﷺ كان يراعي تلك الميزة - قوة التحمل - فيمن يبعثهم للاستطلاع.

بعث النبي ﷺ غالب بن عبد الله رضي الله عنه في سرية إلى بني الملوح بالكديد وكان فيهم جندب بن مكيث الجهني فبعثه غالباً طليعة له قال جندب : (فكمنا ناحية الوادي فبعثني أصحابي ربيئة[1] لهم فخرجت فأتيت تلا مشرفاً على الحاضر[2] يطلعني عليهم حتى إذا أسندت فيه وعلوت على رأسه انبطحت . فو الله إني لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته : إني أرى على هذا التل سواداً ما رأيته عليه صدر يومي هذا ، فانظري إلى أوعيتك لاتكون الكلاب أخذت منها شيئاً . فنظرت فقالت : والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً. قال : فناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسه وسهمين معها فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ به جنبي فانتزعته فوضعته وثبت مكاني ، ثم رماني بالآخر فخالطني به أيضاً فأخذته فوضعته وثبت مكاني . فقال لامرأته : والله لو كانت ربيئة لقد تحركت بعد والله لقد خالطها سهماي لا أبالك فإذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب قال : ثم دخل وراحت الماشيه من إبلهم ، وأغنامهم فلما احتلبوا وعطنوا[3] واطمأنوا وهدأوا شننا عليهم الغارة فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية واستقنا النعم والشاء [الواقدي، ٧٥١، وابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٩٠].

من النص السابق تظهر لنا عدة جوانب أمنية لعل من أبرزها قوة التحمل التي أبداها جندب رضي الله عنه ، فبالرغم من إصابته بسهمين متتالين لم يتحرك من مكانه . وهذا تصرف أمني غاية في السلامة لو تحرك لتاكد لذلك الأعرابي أنه طليعة عليهم فيعمل على إدراكه والقبض عليه ، أو على أقل

(١)ربيئة : طليعة .
(٢) الحاضر : القوم المقيمون بمحلهم .
(٣) عطنت الإبل : إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى .

تقدير يكونون على أهبة الاستعداد بعد معرفة حقيقة طليعة المسلمين في حال هربه ، فتفوت الفرصة على السرية وتخفق في تحقيق هدفها الذي من أجله جاءت .

ولكن كان لثبات جندب في مكانه ولقوة تحمله الأثر البالغ في نجاح تلك السرية فعلى الرغم من ذكاء الأعرابي وقوة ملاحظته التي اكتشف عن طريقها مكان جندب ورماه بالسهام ، لم يتحرك وفوت الفرصة على الأعرابي الأمر الذي جعله يطمئن ويدخل خباءه تاركاً السانحة للمسلمين ليغيروا على قومه فيسبون نساءهم ويحملون إبلهم وشاءهم .

إنه درس للمسلمين ينبغي ألا يغيب عنهم . ولابد أن يضعوه نصب أعينهم أثناء قيامهم بالمهمات الأمنية المماثلة ، ويتحملوا في ذلك الألم والإصابة كما تحملها جندب رضي الله عنه .

٣ . ٤ . ٣ الحس الأمني لوفد خزاعة

عندما رجع وفد خزاعة من المدينة عقب أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنقض قريش للعهد ، لقيهم أبو سفيان قادماً من مكة وأراد أن يتأكد هل قدموا من المدينة أم لا ، فحاول بشتى السبل أن يتحصل منهم على هذه المعلومة . قال الواقدي : (وخرج أبو سفيان من مكة وهو متخوف الذي صنع عمرو بن سالم وأصحابه ، أن يكونوا جاءوا رسول الله ﷺ، وكان القوم لما أتوا الأبواء راجعين تفرقوا وذهبت طائفة إلى الساحل تعارض الطريق ولزم بديل في نفر معه الطريق فلقيه أبو سفيان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء محمداً بل كان اليقين عنده فقال للقوم : أخبروني عن يثرب من كم عهدكم بها ؟ فقالوا : لا علم لنا بها فعرف أنهم كتموه . فقال : أما معكم من تمر يثرب شيء تطعموناه ؟ فإن لتمر يثرب فضلاً على تمر تهامة .

قالوا : لا . قال : يابديل هل جئت محمداً ؟ قال : لا ما فعلت ، ولكني سرت في بلاد كعب وخزاعة من الساحل في قتيل كان بينهم ، فأصلحت بينهم . قال : يقول أبو سفيان : إنك والله ما علمت برّ وواصل . ثم قابلهم أبو سفيان حتى راح بديل وأصحابه ، ثم جاء منزلهم ففت أبعار أبا عرهم فوجد فيها نوى ووجد في منزلهم نوى من تمر عجوة كأنها ألسنة الطير ، فقال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمداً [الواقدي، ٧٩١ ـ ٧٩٢] .

بالتأمل في مقابلة أبي سفيان لوفد خزاعة نجد أن أباسفيان قد بدأ وبذكاء سؤال بديل وصحبه عن يثرب، وعهدهم بها . وهو سؤال يظهر ذكاء وحنكة أبي سفيان فهو لم يسألهم مباشرة وإنما لجأ إلى الأسلوب غير المباشر في أخذ المعلومة فإذا أجابه الوفد بأن عهدهم بيثرب قريب عرف أنهم اتصلوا بمحمد ـ ﷺ ـ ولكن فطنة وفد خزاعة فوت عليه الفرصة فكانت الإجابة بالنفي وأنهم لا علم لهم بها ـ أي أنكروا عليه ـ وهذا حس أمني رفيع لأفراد الوفد .

لم ييأس أبوسفيان وعاود الكرة مرة أخرى، وبسؤال لا يقل ذكاء عن الأول. سألهم أن يعطوه من تمر يثرب، ومدح تمر يثرب كي يحول أنظار الوفد عن هدفه الحقيقي من ذلك الطلب . فلو أعطوه لتأكد له أنهم قادمون من يثرب . ولكن فطن القوم لحيلة أبي سفيان ، وأنكروا أن يكون معهم تمر من يثرب .

وأخيراً لجأ أبو سفيان إلى السؤال المباشر ، فسأل بديلاً هل جئت محمداً؟ فأنكر بديل ذلك، وحاول أن يخفي أمره فزعم أنه كان في مهمة لإصلاح ذات البين .

وبهذا سد الوفد على أبي سفيان كل باب حاول من خلاله أن يعرف خبر النبي ﷺ ولم يتمكن أبو سفيان من معرفة ذهابهم للرسول ﷺ إلا بعد أن ذهبوا وجاء فنظر في أبعار إبلهم ووجد نوى المدينة كما وجد شيئاً من عجوتها .

٣ . ٤ . ٤ قتل الجواسيس

في بعض الأحوال يكون من الضروري قتل الجاسوس وذلك إذا رفض أن يدلي بأي معلومة عن العدو ، أو تحصل على معلومات عن المسلمين ، ويخشى إن أطلق سراحه أن ينقلها إلى الأعداء ويمكن قتله بقصد ترهيب غيره من الجواسيس أن يقدموا على مثل ما أقدم عليه خوفاً من أن يكون مصيرهم كمصيره . ففي هذه الحالات ونحوها يكون من الضروري قتل الجاسوس .

لقد أمر النبي ﷺ بقتل معاوية بن المغيرة بعد قيامه بالتجسس على المسلمين لحساب قريش ثم خرج هارباً فأمر الرسول ﷺ زيداً بن حارثة ، وعماراً بن ياسر رضي الله عنهما أن يتعقباه ، ويقتلاه ففعلا ذلك [ابن هشام، ١٠٥] .

كما قتل أحد جواسيس بني المصطلق في غزوة المريسيع عندما أرسله زعيم بني المصطلق ليتحسس له أخبار المسلمين فألقى المسلمون عليه القبض، وقتلوه، ولما بلغ الحارث بن أبي ضار مقتل عينه ومسير المسلمين نحوه خاف خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٤٥] .

وهذا الحزم إزاء الجواسيس كان من الأسباب الأساسية التي جعلت عدد الجواسيس قليلاً في المجتمع المسلم أيام النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين .

فقد كان المسلمون في هذه الفترة على درجة عالية من اليقظة ، والانتباه لمكر الأعداء ، وكيدهم .

٣ . ٥ أمن القيادة الدعوية أثناء الغزوات

للقيادة دورها البارز في توجيه أمر الدولة ، وإرساء دعائمها ، فيلتف حولها المدعوون ، وتتوحد كلمتهم ، وتثمر دعوتهم . وبوجود القيادة الواعية تقل الخلافات التي تختصر الطريق في الوصول إلى الغايات والأهداف السامية التي يدعو لها الإسلام ، وتنادي بها دعوته ، ويأمل في تحقيقها دعاته . لذا لزم العناية والاهتمام بالقيادة ، وعدم التفريط فيها إذ لابد من حمايتها من غدر الغادرين ، وتآمر المتآمرين ، وكيد الكائدين الذين يتربصون بالإسلام ، ودعاته الدوائر ، ويضمرون له الحقد ويودون إطفاء نور الإسلام .

والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يهتمون بحراسة قائد الدعوة ﷺ . فقد جاء في ذكر سبب نزول قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة ، ٦٧) مارواه السيوطي في لباب النقول حين قال : (وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [السيوطي ، ٣٤٣] . وتضمنت ثنايا السيرة العديد من المواطن التي فرض فيها الصحابة رضي الله عنهم الحراسة اللصيقة ، والصارمة على قائد الدعوة ﷺ .

٣ . ٥ . ١ حراسة الرسول ﷺ في غزوة بدر والخندق وخيبر

٣ . ٥ . ١ . ١ حراسة الرسول ﷺ في بدر وقبيل أحد

واقعة بدر أول غزوة بين المسلمين وقريش، وقد كان الفارق بين الفريقين كبيراً في العدد والعتاد و لذا كان اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بأمن قائدهم كبيراً حيث اتفقوا على أن يبنوا له عريشاً يكون فيه مع وضع الحراسة المشددة على العريش فكانت الحراسة من أبي بكر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٩] .

فالحراسة هنا ضرورية وواجبة تفرضها ظروف الزمان والمكان معاً فمن أبرز أهداف قريش القضاء على قائد الدعوة لهذا كانت تسعى جاهدة للنيل منه بشتى السبل ذلك أنها كانت ترى القضاء عليه بمنزلة القضاء على الإسلام. فمنعاً لحدوث ذلك من قريش تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الحراسة اللصيقة من قبل المسلمين لقائدهم .

حراسة رسول الله ﷺ قُبيل أحد

عقب تلقي الرسول ﷺ الرسالة التي بعثها عمه العباس يحذره فيها من غزو قريش للمدينة عقب ذلك مباشرة ، فرض الصحابة رضي الله عنهم حراسة مشددة على منزل رسول ﷺ وبخاصة بالليل فقد كان سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير يبيتون على باب رسول الله ﷺ يحرسونه حتى الصباح [ابن سعد، ١٣٨٨هـ، ٢٧] .

فالحراسة هنا لها ما يبررها حيث لا يستبعد أن ترسل قريش من يقوم بمهاجمة بيت رسول الله ﷺ في جنح الظلام لينال منه ولما كان هذا الاحتمال وارداً ، ضرب الصحابة رضي الله عنهم تلك الحراسة المكونة من رجال

أشداء أقوياء من السابقين الأولين إلى الإسلام من الأنصار (ابن هشام، ٤٣٥). مما يؤكد حرص واهتمام الصحابة بأمن قائدهم الأعظم ﷺ.

٣ . ٥ . ١ . ٢ حراسة الرسول ﷺ في غزوة الخندق

يقول ابن سعد: (وكان عبَّاد بن بشر على حرس قبة رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة) [ابن سعد، ٤٨]. من سياق هذا الحديث نجد أن الحراسة كانت على قبة رسول الله ﷺ طوال أيام الخندق.

ولا ريب أن الحراسة في هذا الموطن ضرورية فلا يستبعد أن يتسلل بعض الأعداء الذين يحيطون بالمسلمين من كل جوانب الخندق ويحاولوا الوصول إلى قبة القيادة خفية لا سيما وقد حاولوا ذلك أكثر من مرة بل رموا قبة الرسول ﷺ بالنبل. يقول الواقدي: (وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم، فأسمعهم يقولون قبة محمد أرموا فرموا فناهضناهم حتى وقفنا على شفير[1] الخندق. وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر) [الواقدي، ٤٦٥].

فالذي قال ذلك هو أحد حرس قبة رسول الله ﷺ [الواقدي، ٤٦٥]. فلو لم تكن الحراسة موجودة ربما أصابت تلك السهام رسول الله ﷺ. لذا كان وجود الحراسة هنا حتمياً في هذا الجو المليء بمحاولات التسلل المتكررة والهجوم بالنبل تجاه قبة القيادة.

---

(١) شفير: حافة.

٣ . ٥ . ١ . ٣ حراسة أبي أيوب رضي الله عنه لرسول الله (ﷺ) في غزوة خيبر

أقفل الرسول ﷺ راجعاً من خيبر بعد أن فتحها الله على يديه وفي الطريق بني بأم المؤمنين صفية رضي الله عنها فجاء أبو أيوب رضي الله عنه ليحرس رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: (وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحاً سيفه يحرس رسول الله ﷺ، ويطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة بكفر فخفت عليك) [ابن هشام، ٣٤٠] .

لايخفي الحس الأمنى الرفيع لأبي أيوب رضي الله عنه في قيامه بهذه الحراسة فقد برر سبب خوفه على رسول الله ﷺ وحراسته له بمبررات قوية ومنطقية فكل دواعى الانتقام من رسول الله ﷺ متوفرة لدى صفية رضي الله عنها قتل أبيها وزوجها، وقومها أضف إلى ذلك كونها حديثة عهد بكفر. غير أن صدقها في التمسك بالإسلام عصمها من فعل شيء لرسول الله ﷺ.

٣ . ٥ . ٢ حراسة الرسول (ﷺ) في غزوة أحد وحنين

٣ . ٥ . ٢ . ١ حراسة الرسول ﷺ في غزوة أحد

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في الفداء، والتضحية من أجل الحفاظ على حياة القائد قال ابن هشام: (وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه: أن عتبة بن أبي وقاص قال:

---

(١) المغفر: شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتقي به في الحرب.

رُمي رسول الله ﷺ يومئذ فكُسرت رباعيته. اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر[1] في وجنته ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله..) [ابن هشام، ٨٠].

وقال ابن اسحاق: (وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: من رجل يشري لها نفسه؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو قال: فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد، أو عمارة فقاتل حتى أثخنته الجراح، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم[1] عنه، فقال رسول الله ﷺ أدنوه مني، فأدنوه منه، فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ [ابن هشام، ٨١].

وروى ابن هشام عن أم عمارة رضي الله عنها قالت: (فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ) [ابن هشام، ٨٢].

وقال ابن اسحاق: (وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول

---

(١) أجهضوهم: صدوهم عنه.

الله ﷺ. قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول : ارم فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول : ارم به) [ابن هشام، ٨٢].

إن المتأمل للنصوص السالفة يجدها تحتوى على صور عديدة من صور الحراسة اللصيقة لرسول الله ﷺ فهاهو سيدنا علي رضي الله عنه يأخذ بيد رسول الله ﷺ حين سقط في الحفرة فجاء طلحة رضي الله عنه فأخرجه منها ، وفي هذا دليل على الحراسة اللصيقة من علي وطلحة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ.

ويظهر لنا قمة الفداء بالنفس لقائد الدعوة من خلال استشهاد أولئك النفر الكريم من الأنصار الواحد تلو الآخر ، وهم يذودون عن قائدهم ﷺ. وقد شاركت النساء أيضاً في الحراسة والذود عن رسول الله ﷺحتى أثخنتها الجراح .

وتتضح لنا صورة أخرى من صور الفداء ، والتي تمثلت فيما قام به أبو دجانة رضي الله عنه، عندما ترّس بنفسه كي يحمي رسول الله ﷺ من سهام ، ونبال الكفار .

ولعل الدرس الهام الذي ينبغي أن يستفيده المسلمون من هذه المواقف ، هو تقديم النفس رخيصة من أجل الحفاظ على حياة القائد، وألا يبخل الإنسان بها إذا دعا الداعي ، وتطلب الأمر ذلك تماماً كما فعل الأنصار، وطلحة ، وأبو دجانة ، ونسيبة رضي الله عنهم جميعاً .

٣ . ٥ . ٢ . ٢ حراسة الرسول ﷺ في غزوة حنين

توجه الرسول ﷺ عقب فتح مكة إلى قبيلة هوازن فكانت غزوة حنين التي حوت على درس عظيم للمسلمين حين غرتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وولوا مدبرين . ولكن هنالك فئة

ثبتت مع رسول الله ﷺ تحرسه قال ابن إسحاق عن غزوة حنين (وانشمر الناس[1] راجعين لا يلوي أحد على أحد . وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ، ثم قال : فلا شيء[2] حملت الإبل بعضها على بعض فانطلق الناس إلا أنه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وأبو سفيان بن الحارث) [ابن هشام، ٤٤٣].

تُعد الحراسة في مثل هذا الموقف أمراً ضرورياً وهاماً إذ أصبح قائد الدعوة ﷺ مكشوفاً للأعداء عقب تراجع المسلمين عنه ، فكان من الواجب أن يقف نفر من أصحابه رضي الله عنهم في الحراسة ، وهذا ما تم بالفعل - كما مرّ معنا - حيث كان لثبات هؤلاء النفر الدور البارز في ترجيح كفة الحرب - بعد عون الله - لصالح المسلمين عندما صاح العباس رضي الله عنه على الناس بتوجيه من الرسول ﷺ فما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا أن لبوا ذاك النداء فكان النصر حليف المسلمين ساعتها . مما سبق يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقومون بحراسة رسول الله ﷺ في مناسبات متعددة ، بل كانوا دائماً على استعداد لفدائه بأنفسهم إذا ما تطلب الأمر ذلك .

---

(١) وأشمر الناس : انقضوا وانهزموا .

(٢) فلا شيء يريد فلا شيء عظيم .

الخاتمـــــة

الحمد لله كثيراً كما أمر ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البشر ، وآله وصحبه ، ومن سار على الأثر ، إلى يوم المحشر ، وبعد .

فقد بذلت هذا الجهد بعون الله وتوفيقه ، وعشت معه من خلال المصادر والمراجع المتنوعة ، ولكن مع ذلك أحس أن الموضوع يحتاج إلى بحث أشمل ، ودراسة أعمق لمزيد من التأصيل فى الدراسة الأمنية ، ولمعالجة الثغرات التي تظهر فى هذا البحث تطرق الباحث للجوانب الأمنية داخل المجتمع المسلم ، والتي دارت حول الجوانب الأمنية فى بناء المسجد ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، والجوانب الأمنية فى المعاهدات بين المسلمين واليهود ، وصلح الحديبية . ومواقف الرسول ﷺ مع المنافقين ، ثم الاحتياطات الأمنية فى المهمات الفردية ، كفك أسر عياش وهشام رضي الله عنهما ، والقضاء على فتنة كعب بن الأشرف ، والقضاء على فتنة سفيان ابن خالد ، وقتل سلام بن أبي الحقيق ، ثم انتقل الباحث إلى الجوانب الأمنية في علاقة المجتمع المسلم باليهود ، فبين كيفية تصدي الرسول ﷺ لتشكيك اليهود في الإسلام ، ومواجهته لنشاط اليهود العسكري ، ثم موقفه من مؤامرات اليهود ، وإنهاء الوجود اليهودي بالمدينة . وتناول الباحث الجوانب الأمنية في غزوات الرسول ﷺ . فتحدث عن الحصول على المعلومات العسكرية عن طريق الاستطلاع ، ومن جواسيس الأعداء ، والموالين للمسلمين ، والجوانب الأمنية فى العمليات الفردية لغزوات الرسول ﷺ ، وأهمية التدابير الأمنية فى نجاح الغزوات وأمن قيادة الدعوة .

وخلص الباحث من هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

أولاً : أصبح بما لا يدع مجالاً للشك أن الجانب الأمني من صميم الإسلام، وليس أمراً دخيلاً عليه، أو بدعة محدثة كما يتوهم البعض، فقد مارس الرسول ﷺ هذا الجانب عملياً طوال العهدين المكي والمدني .

ثانياً : كان للرسول ﷺ عيون ، وأرصاد خارج المدينة ، يأتونه بالأخبار ، وبخاصة داخل مكة معقل الكفر آنذاك .

ثالثاً : التزام الرسول ﷺ جانب المعاهدات مع اليهود ، وكانت بنودها محكمة بحيث لم تظهر فيها أي ثغرة ، وألزم بها اليهود ، وأخضع التعامل معهم لبنود تلك الاتفاقيات التي ما لبثوا أن نقضوها ، فأخرجهم قبيلة تلو الأخرى من المدينة .

رابعاً : استخدم الرسول ﷺ الأسلوب الأمني الأمثل في التعامل مع المنافقين (الطابور الخامس) ، فبات يرصد حركاتهم فأفشل مؤامراتهم التي استهدفت الرسول ﷺ والمسلمين .

خامساً : تفوق الرسول ﷺ في جانب الاستخبارات العسكرية على جميع أعدائه ، فكان يرصد جميع تحركات أعدائه في الخارج ، فيبطل مخططاتهم العدوانية ، وكان يباغتهم في عقر دارهم قبل أن يباغتوه، ولم يحدث أن تمكن الأعداء من مباغتة المسلمين فى عقر دارهم .

سادساً : استخدم الرسول ﷺ أسلوب الرسائل المكتومة في زمن لم تكن فيه معروفة .

سابعاً : أباح الرسول ﷺ الخدعة ، والكذب في سبيل الحصول على معلومات عن الأعداء، أو تحقيق أهداف عامة للأمة، وذلك في حالة الضرورة القصوى .

ثامناً : اهتم الرسول ﷺ بلغات الأعداء ، فأمر بعض أصحابه بتعلمها وبخاصة لغة اليهود .

تاسعاً : لجأ النبي ﷺ إلى أسلوب القتل ، فقتل بعض خصوم الدعوة ، للقضاء على فتنتهم ، وترهيب غيرهم من أن يحذوا حذوهم .

التوصيات

أما التوصيات التي يحب الباحث أن ينوه إليها تتمثل في الآتي :

أولاً : على الدول الإسلامية وهى تخطو نحو بناء وقيام المجتمع المسلم أن تضع نصب عينيها الجانب الأمني ، فلا تخطو خطوة واحدة قبل أن تسبقها دراسات أمنية مستفيضة .

ثانياً : على الدول الإسلامية في العالم العمل على بناء جهاز للمخابرات القوية على الصعيدين الداخلي ، والخارجي ، وأن تحاول التنسيق فيما بينها فى هذا الجانب ، والعمل على تبادل المعلومات الأمنية ، والخبرات فى هذا المجال ، وأن تستفيد كل جماعة من الأخطاء التي تقع فيها الجماعة الأخرى ، وتأخذ إيجابيات العمل الأمني الناجح منها .

ثالثاً : على الدول الإسلامية استخدام جميع الوسائل الحديثة فى الاستخبارات ، ونقل المعلومات ، وتخزينها ، ولاتدع وسيلة إلا واستخدمتها ما دامت تلك الوسيلة مشروعة ، ولاتتعارض مع تعاليم الإسلام .

رابعاً : ينبغي على الدول الإسلامية العمل على تربية أفرادهم تربية أمنية حتى يغدو كل فرد منها يعلم متى يتكلم ، وفيم لايتكلم ، حتى يصبح كل فرد منها مخبراً ، وكاتماً لسر أمته .

خامساً : على شباب الأمة الإسلامية ، ودعاتها بخاصة الاطلاع على كل ما كتب حول التجسس ، والمخابرات قديماً وحديثاً حتى يكونوا على بينة مما يجرى حولهم فى هذا المجال ، وألا يؤخذوا على غرة ، وعليهم أخذ الصالح منها ، وطرح الطالح لأن جل كتب الاستخبارات مليئة بالسم والدَسم.

سادساً : يجب أن يكون اختيار رجال الأمن اختياراً دقيقاً مبنياً على أسس شرعية تراعى فيها صفات الصدق ، والأمانة ، والإخلاص ، والورع ، والعفاف ، والتقوى . . . الخ مع مراقبتهم باستمرار لمعالجة أي خلل أو ضعف قد يظهر منهم فى الوقت المناسب ، وبالعلاج الناجع .

سابعاً : ينبغي للدول المسلمة إزالة الصورة المشوهة للأمن ، ورجال المخابرات لدى أذهان الناس ، وذلك بإبراز صورتها الإسلامية من خلال تقديم التأصيل النظري ، والتطبيق العملي .

ثامناً : على الأئمة ، والمصلحين ، حث الناس على ترك الثرثرة التي لاطائل منها ، والتي قد تمثل مصدراً هاماً يستقي منه الأعداء بعض المعلومات عن أسرار الأمة .

تاسعاً : ينبغي أن يستفيد المسلمون من خبرات غيرهم في هذا المجال ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

عاشراً : على عامة المسلمين التبليغ الفوري عن أي عمل ، أو تصرف من شأنه أن يحدث ضرراً بالمصلحة العامة ، ويعرض أمنها للخطر سواء أكان هذا التصرف ناشئاً من وطني أو أجنبي .

حادي عشر : على الدولة المسلمة أن تعتمد في بناء مؤسساتها العامة

العسكرية منها على وجه الخصوص، على الأيدي العاملة المسلمة والمؤسسات الوطنية الخاصة. ولا تعتمد على العمالة الكافرة أو الشركات الأجنبية .

ثاني عشر : على الضباط في الدولة المسلمة عدم وضع لوحات تحمل أسماءهم على صدورهم ، لأن ذلك قد يمكن الأعداء من معرفة أسماء قادة الأمة ، ورتبهم العسكرية مما يجعل هؤلاء عرضة للمراقبة، وفي ذات الوقت قد تستغل هذه الأسماء في الحرب النفسية إذا نشبت أي حرب بينهم وبين أعدائهم، فيمكن إذاعة أسماء هؤلاء الضباط . إما على أساس أنهم أسرى حرب، أو في القتلى الأمر الذي قد يكون له أثره السلبي على المواطنين ، وبخاصة أقارب أولئك الضباط .

ثالث عشر : على الدولة الإسلامية ألا تعرض جميع ما عندها من أنواع السلاح فى العرض العسكرى ، بل لا بد أن تترك ما تجعله مفاجأة للعدو إذا دخلت معه الحرب .

رابع عشر : لابد من وضع ضوابط أمنية صارمة على جميع وسائل الإعلام المرئية . والمسموعة ، والمقروءة تمنع منعاً باتاً التعرض لأي سر من أسرار الأمة تصريحاً أوتلميحاً ، وفرض عقوبات صارمة ورادعة على كل من يتجاوز تلك الضوابط .

خامس عشر : على قادة الدول الإسلامية والجماعات الإسلامية ألا يصرحوا بأهدافهم ، وما يصبون إلى تحقيقه من اتساع رقعة دولتهم الإسلامية ، أو الوصول إلى سُدة الحكم في البلاد . وإنما يستعينون على تلك الأمور بالكتمان .

سادس عشر : على جميع أفراد الأمة الإسلامية صون أسرارها وعدم التحدث بها في الأماكن العامة ، والخاصة مخافة تسربها إلى الأعداء .

سابع عشر : على ضباط صف وجنود القوات المسلمة الحفاظ التام على جميع الأسرار العسكرية صغيرة كانت أم كبيرة وألا يتحدثوا بها لا للصديق ولا العدو . وعليهم الحذر من الأقارب وبخاصة الزوجات اللائي قد يصعب عليهن الاحتفاظ بسر .

ثامن عشر : ينبغي عقد دورات ، وندوات ، ودروس للتربية الأمنية لجميع أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وتخصصاتهم ومراكزهم .

تاسع عشر : يجب مراقبة ومتابعة الأجانب ومن يتعاملون معهم من المواطنين ، وبخاصة موظفي السفارات والمنظمات الأجنبية والمنظمات الثقافية والإنسانية والدينية والاجتماعية والصحية . ويجب ألا يترك لها الحبل على الغارب دون رقيب ، أو حسيب .

عشرون : على العلماء والمختصين الكتابة والتأليف فى هذا المجال بغية تأصيله ووضع الضوابط ، والقيود الشرعية له ، ولمن يعمل فيه .

المراجـــــع

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم (١٣٨٥هـ). **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار بيروت للطباعة.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (د.ت). **تاريخ عمر بن الخطاب**. القاهرة: مطبعه توفيق.

ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر (١٣٤٧هـ). **زاد المعاد**. ط ١. القاهرة: المطبعة المصرية.

ابن برهان الدين، علي (١٣٢٠هـ). **السيره الحلبية**. ط ١. القاهرة: المطبعة الأزهرية.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (١٤٠٧هـ). ط ١، **السيرة النبوية**، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافيه.

ابن حجر، أحمدبن علي (١٣٩٨هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**. بيروت: دار الفكر.

ابن حجر، أحمدبن علي (د.ت). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. القاهرة: المطبعة السلفيه.

ابن حنبل، أحمد (١٣٩١هـ). **المسند**، القاهرة: دار المعارف.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (د.ت). **تاريخ ابن خلدون**. بيروت: مؤسسة الأعظمي.

ابن سعد، محمد بن منيع (١٣٨٨هـ). **الطبقات الكبرى**. القاهرة: دار التحرير.

ابن سلام، زبو عبيد القاسم (١٣٨٨هـ). **الأموال**، تحقيق محمد خليل هواسي، القاهرة: مطبعة مصر.

ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد (د. ت). **العقد الفريد**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل (د. ت). **البداية والنهاية**، بيروت: دار الفكر.

ابن كثير، زبو الفدا إسماعيل (د. ت). **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الفكر العربي.

ابن منظور (د. ت). **لسان العرب**. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ابن هشام، محمد بن عبد الملك (د. ت). **السيرة النبوية**. بيروت: مؤسسة علوم القرآن.

أحمد، إبراهيم علي محمد. الرسائل والنشرات الموجهة لتنصير المسلمين، رسالة ماجستير غير منشورة. المدينه المنورة: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

الألوسي، محمود الألوسي البغدادي (د. ت). **المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. القاهرة: مطبعة مصطفي بابي الحلبي.

الأنصاري، عبد القدوس (د. ت). **طريق الهجرة النبوية**. ط ١. جدة: مطابع الروضة.

البخاري، محمد بن اسماعيل (د. ت). **صحيح البخاري**. القاهرة: دار مطابع الشعب.

البنا، أحمد عبد الرحمن (د. ت). **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، القاهرة: دار الشهاب.

البوطي، محمد سعيد رمضان (١٤٠٠هـ). **فقه السيرة**. ط ٨، بيروت: دار الفكر.

البيضاوي، أبو الخير عبد الله بن عمر (د. ت). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. بيرت: دار الفكر.

البيهقي، أحمدبن الحسين (د. ت). **دلائل النبوة**. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (١٤٠٥هـ). **مشكاة المصابيح**. بيروت: المكتب الإسلامي.

الجزائري، سعيد (د. ت). **المخابرات والعالم**. بيروت: مكتبة النوري.

الجوهري، اسماعيل بن حماد (١٣٩٩هـ). الصحاح. ط ٢، بيروت: دار العلم للملايين.

الخرطوبي، علي حسن (د. ت). **الرسول ﷺ والحرب النفسية**. القاهرة: مكتبه الأنجلو.

الزبيدي، محمد مرتضي. **تاج العروس من جواهر القاموس**. بيروت: دار الحياة.

السحباني، جعفر (١٤٠٥هـ). **معالم الحكومة الإسلامية**. بيروت: دار الأضواء.

السعدي، عبد الرحمن ناصر (د. ت). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. الرياض: المؤسسة السعيدية.

السمهوري، علي بن عبد الله بن شهاب (١٣٢٦هـ). **وفاء الوفاء**. القاهرة.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن عبد الله أحمد (١٣٩١هـ). **الروض الأنف في تفسيره السيرة النبيوة لابن هشام**. القاهرة: مكتبه الكليات الأزهرية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر د.ت). **لباب النقول في أسباب النزول**، بيروت: دار المعرفه.

الشريف، أحمد إبراهيم (د.ت). **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، بدون دار نشر.

الشوكاني، محمد بن علي (د.ت). **فتح القدير**. بيروت: دار الفكر.

الطبري، محمد بن جرير (١٣٥٧هـ). **تاريخ الأمم والملوك**. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

العقاد، عباس محمود (د.ت). **عبقرية محمد**. بيروت: المكتبة العصرية.

العمري، أكرم ضياء. **المجتمع المدني في عهد النبوة**. المدينه المنورة: الجامعة الإسلامية.

الغزالي، محمد (١٩٧٦). **فقه السيرة**. ط ٧. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

الغضبان، منير محمد. **فقه السيرة النبوية**. مكة المكرمة: جامعة أم القري.

الغضبان، منير محمد. **المنهج الحركي للسيرة النبوية**. ط ٦، عمان: مكتبة المنار.

القشيري، مسلم بن الحجاج (د.ت). **صحيح مسلم**. بيروت: مؤسسة مناهل العرفان.

الكلبي، محمد أحمد جزي (د.ت). **التسهيل لعلم التنزيل**. بيروت: دار الفكر.

المباركفوري، صفي الرحمن (١٤٠٨هـ). **الرحيق المختوم**. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

المجلة العربية للدراسات الأمنية، الرياض.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد (١٩٤١). **امتاع الاسماع**. القاهرة: دار الترجمة والنشر.

الناس ابن سيد، محمد بن محمد عبد الله (١٤٠٢هـ). **عيون الأثر في فنون الشمائل والمغازي والسير**. ط ٣. بيروت: دار الآفاق الحديثة.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني (١٤٠١هـ). جده: دار الشروق ط ٢.

الواحدي، أبو الحسن علي أحمد (د. ت). **أسباب النزول**. بيروت: عالم الكتب.

الواقدي، محمد بن عمر (د. ت). بيروت: عالم الكتب.

باشميل، محمد أحمد (د. ت). **غزوة أحد**. بيروت: دار الكتب.

باشميل، محمد أحمد. **غزوة بدر**. ط ٧، بيروت: دار الفكر.

برانق، محمد أحمد (١٣٢٦هـ)، **حمد واليهود**. القاهرة: مؤسسة المطبوعات الحديثة.

بك، محمد الخضري (د. ت). **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**. المدينة المنورة: مكتبة طيبة.

حسين، محسن علي. **الطريق إلى جماعه المسلمين**. المنصوره: دار الوفاء.

حوي، سعيد (١٤٠٥هـ). **الأساس في التفسير**. ط ١ . دمشق: دار السلام للطباعة.

ــــــــــ(١٤٠٨هـ). **جند الله تخطيطاً**. ط ١ . بيروت: دار عمار.

ــــــــــ(د. ت). **الرسول ﷺ**، بيروت: دار الكتب العملي.

خطاب، محمود شيت **دروس في الكتمان**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ــــــــــ(د. ت). **اقتباس النظام العسكري في عهد النبوة**. الدوحة: الشؤون الدينية.

ــــــــــ(د. ت). **الرسول القائد**. ط ٢، بيروت: مكتبة الحياة.

رايت، بيتر (١٤٠٨هـ). **صائد الجواسيس**. ط ٣، ترجمة: عماد القسوس، عمان: دار الشروق.

زقزوقي، محمود حمدي. **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**. كتاب الأمة رقم (٥).

زيني، السيد أحمد (١٣٢٠هـ). **السيرة النبوية والآثار المحمدية**، القاهرة: المطبعه الأزهرية.

سربل، إبراهيم (١٩٩٠). **دليل المجاهد**، عمان: دار الينابيع.

شلتوت، محمود (١٤٠٥هـ). **من توجيهات الإسلام**. بيروت: دار الأضواء.

طبارة، عفيف عبد الفتاح (١٩٨٦). بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الحادية عشرة.

طنطاوي، جوهر (١٣٥٠هـ). **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**. القاهرة: مصطفي البابي الحلبي.

علي، جواد (د. ت). **تاريخ العرب قبل الإسلام**. بغداد: المجمع العلمي العراقي.

فائز، أحمد (د. ت). **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، جده: دار الشروق.

فرج، محمد (د. ت). **العبقرية العسكرية في غزوات الرسول**. بيروت: دار الفكر العربي.

فرج، محمد (د. ت). **المدرسة العسكرية الإسلامية**. بيروت: دار الفكر العربي.

قطب، سيد (١٤٠٢هـ). **في ظلال القران**. بيروت: دار الشروق.

قطب، محمد (د. ت). **التطور والثبات**. جدة: دار الشروق.

لوبون، غوستاف (د. ت) **حضارة العرب**. ط ٤. ترجمة عادل زعيتر، القاهره: عيسى البابي الحلبي.

مجهول المؤلف (د. ت). **تنوير الافهام في مصادر الإسلام**.

مونتجومري، وات (د. ت). **محمد في المدينة**، تعريب شعبان بركات، بيروت: المكتبة العصرية.

ميمان، يوسي (د. ت). **أسرار أمراء الموساد**. ترجمة نوبل عبد الصمد، بدون دار نشر.

نبهاني، محمد (١٤٠٦هـ). **الصفا في سيرة المصطفى**. الدوحة: دار أحياء التراث الإسلامي.

نصر، صلاح. **الحرب النفسية**. ط ٢. القاهرة: دار القلم.

نوفل، أحمد (١٤٠٦هـ). **الحرب النفسية**. ط ٢، عمان: دار الفرقان.

ـــــــــــ (د. ت). **الإشاعة**. عمان: دار الفرقان.

هارون، محمد (د.ت). **ملخص سيرة الرسول**. بيروت : المكتبة الثقافية.

هيكل، محمد حسين (د.ت). **حياة محمد**. ط ١٦، القاهر: دار المعارف.

واير، ديفيد (١٤٠٤هـ). **الحكومه الخفية**. ط ٥ . ترجمة جورج عزيز، القاهره: دار النفائس .

ولفنسون، إسرائيل (١٩٢٧م). **تاريخ اليهود في بلاد العرب**. القاهرة: مطبعه الاعتماد.

وليام غاي كار (١٤٠٥هـ). **أحجار على رقعة الشطرنج**. ترجمة سعيد جزائري، بيروت : دار النفائس.

وهبة، توفيق علي (١٤٠٣هـ). **الإسلام في مواجهة أعدائه**. الرياض: دار اللواء.

يدوفيتش، شيريب سبير (١٤٠٤هـ). **حكومة العالم الخفية**. ترجمة مامون سعيد، بيروت: دار النفائيس . الطبعة الأس.

يكن، فتحي (د.ت). **قوارب النجاة في حياة الدعاة**. ط ٧، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الاخراج الفني والطباعة ـ مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ـ هاتف: ٢٤٦٠٠٤٥

ردمك: ٠ ـ ٧٩ ـ ٧٢٥ ـ ٩٩٦٠